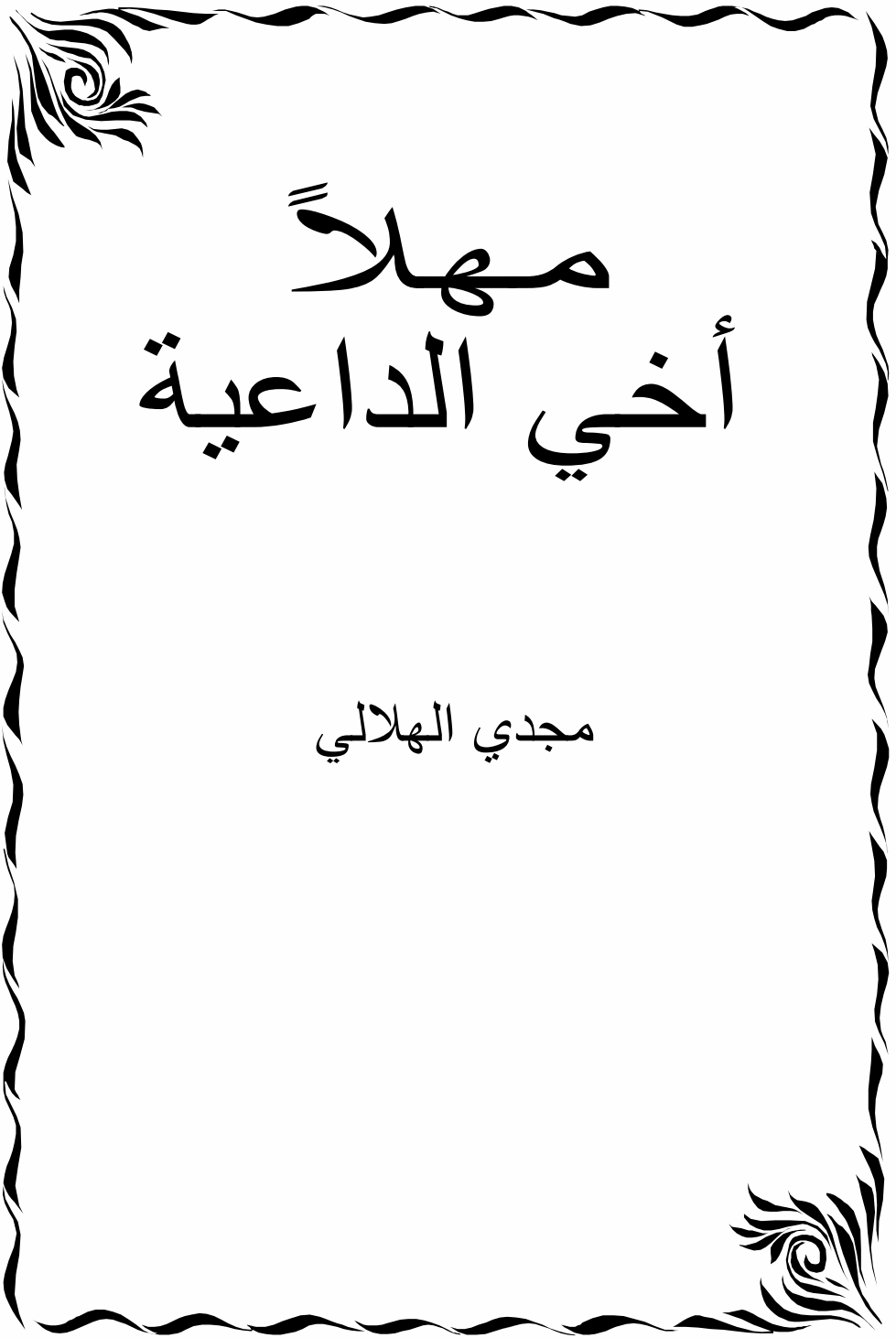
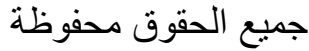




مهلاً أخي الداعية

مجدي الهلالي



الطبعة الأولى
١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

الترقيم الدولي: I.S.N.B
٩٧٨-٩٧٧-٤٤١-٧٨٧-٢

مؤسسة اقرأ

للنشر والتوزيع والترجمة

١٠ ش أحمد عمارة - بجوار حديقة الفسطاط
القاهرة ت: ٢٥٣٢٦٦١٠ محمول: ٠١٠٥٢٢٤٢٠٧ - ٠١٢٦٣٤٤٠٤٣

www.lqraakotob.net

E-mail: iqraakotob@yahoo.com

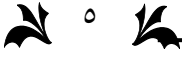
لمن هذه الصفحات؟!

.. هذه الصفحات تخاطب كل من انشغل بدعوة
الناس وترك نفسه دون تعاهد وتركية.
.. تخاطبه محذرة إياه من مغبة إهماله لنفسه.
تصرخ فيه قائلة: لا تكن كالشمعة تضيء لغيرها
وتحرق نفسها.
وهي كذلك تخاطب - بين ثناياها - كل من قعد عن
العمل في حقل الدعوة وانشغل بنفسه ودنياه.
.. تخاطبه وتحذره من خطر النيران التي شبت
في ديارنا، والتي تحتاج إلى انتفاضة حقيقية
وسريعة لإطفائها وإلا قضت على الجميع.



مهلاً
أخي الداعية





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رب يسر وأعن يا كريم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة العالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فلقد شاءت الأقدار الإلهية أن نوجد في هذا العصر الذي يشهد فيه المسلمون الكثير والكثير من ألوان الذل والهوان.. أسقطت الخلافة، ونُحيت الشريعة، وتفسخت الأخلاق، وتكالب علينا الأعداء من كل مكان، وأصبحنا أضيع من الأيتام على مائدة اللثام.. لا اعتبار لنا، ولا قيمة لوجودنا.

ومما لا شك فيه أن هذا الواقع المرير الذي تحياه الأمة الإسلامية منذ عدة عقود يستلزم من أبنائها السعى الحثيث لتغييره وإصلاحه.

ولأن حجم الهدم الذي حدث في بنيان أمتنا ضخمة وكبير، وفي كل الاتجاهات، فإن الجهد المطلوب لإعادة البناء أكبر بكثير مما قد يتخيله البعض.

ومما يدعو للأسف أن الأيدي العاملة في مجال إعادة بناء الأمة قليلة، ولا تتناسب مع حجم الانحراف الذي حدث لها، ولا التحديات التي تواجهها، ولا المؤامرات التي تحاك لها ليل نهار، مما يُلقي على عاتق تلك الفئة عبئاً ثقيلاً، ويستلزم منها توضيحات وتوضيحات.

وكلما فكر المسلم الغيور على دينه في أحوال أمته المتردية، فإن الشعور بالتقصير يملكه، ويدفعه إلى بذل ما لديه من جهد في كل ما يتاح أمامه من مجالات للإصلاح، فيؤدي ذلك إلى انشغاله بهذا الأمر، فيُصبح عليه وينام عليه، مما قد

يوقعه في منزلق خطير؛ ألا وهو نسيانه لنفسه وما يصلحها، فوقته قد امتلأ بواجبات تجاه الآخرين، وذهنه قد شُغل بالتفكير فيهم، فلا يجد بعد ذلك متسعاً من الوقت لقلبه فيمده بما يصلحه، أو لعقله فيزوده بالعلم النافع، أو لنفسه فيحاسبها ويروضها على القيام بطاعة الله بصدق وإخلاص.. فيؤدي هذا إلى ظهور بعض الآثار السلبية عليه، بل وعلى مُحيطه الدعوي كذلك.

من هنا كانت تلك الصفحات التي تدق ناقوس الخطر، وتنادي كل من حمل لواء الدعوة أن انتبه إلى نفسه، ووازن بين متطلبات إصلاحها، ومتطلبات دعوتك.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

الفصل الأول
دوائر العمل الثلاث

مهلاً
أخي الداعية



دوائر العمل الثلاث



هناك ثلاث دوائر ينبغي أن يتحرك فيها الداعية خلال مسيرته في الحياة: الدائرة الأولى هي نفسه، والثانية هي بيته وأهله، والثالثة هي مجتمعه.

الدائرة الأولى: مع نفسك:

أما الدائرة الأولى فهي النفس، فالمسلم مكلف بإصلاح نفسه، وإلزامها الاستقامة على أمر الله.. وهذه الدائرة هي أخطر الدوائر الثلاث على الإطلاق، وعلى قدر النجاح فيها يكون النجاح في بقية الدوائر.

وتكمن خطورة هذه الدائرة في كونها تحدد مصير العبد عند ربه ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨، ٨٩].
فالمسئولية فردية ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٥].

وبمجرد انتهاء أجلنا ستقطع صلتنا بأهلنا وأحبابنا، ونصبح بعد ذلك بمفردنا نواجه سكرات الموت ونزع الروح، وما بعد ذلك من الأحداث الجسام، فأحب الناس إلينا لن يستطيع مصاحبتنا في قبورنا، بل سيتركنا وينصرف لنواجه مصيرنا بمفردنا.

قال ﷺ: «يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى معه واحد؛ يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله»^(١).

كان الحسن البصري يقول في موعظته: المبادرة، المبادرة! فإنها هي الأنفاس،

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق (٦٥١٤)، ومسلم في كتاب الزهد (٧٣٥٠).

لوقد حُبست انقطعت عنكم أعمالكم التي تقرّبون بها إلى الله عز وجل.

رحم الله امرئاً نظر لنفسه، وبكى على ذنوبه!

ثم يقرأ هذه الآية ﴿إِنَّمَا نَعُدُّهُمْ عِدًّا﴾ [مريم: ٨٤]، ثم يبكي ويقول: آخر العدد خروج نفسك، آخر العدد فراق أهلك، آخر العدد دخولك في قبرك^(١).

وكان يقول، ابن آدم: إنك تموت وحدك، وتدخل القبر وحدك، وتُبعث وحدك، وتحاسب وحدك.. ابن آدم، أنت المعنى وإياك المراد^(٢).

عملك يبني قصرك:

أذكر نفسي وأذكرك - أخي الداعية - أنه بعد موتنا: لن يصلي عنا أحد، ولن يصوم عنا أحد، ولن يذكر الله أحد نيابة عنا، ولن نجد من يجاهد عنا في سبيل الله..

كان يزيد الرقاشي يقول لنفسه: ويحك يا يزيد، من ذا يصلي عنك بعد الموت؟ من ذا يصوم عنك بعد الموت؟ من ذا يترضى عنك ربك بعد الموت؟^(٣). فأولى الناس بأمرك هو أنت ..

بأعمالك الصالحة التي تقوم بها وتدل الناس عليها ستبني - بمشيئة الله وفضله ورحمته - قصرك في الجنة ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَهُ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم: ٤٤].

من سيذكرك بعد موتك؟!

تخيل الزمان وقد دارت عجلته مائتي عامٍ للأمام.. وتخيل أحفاد أحفادك.. هل تظن أن أحداً منهم سيذكرك؟ أتدري أنهم - في الغالب - لن يعرفوا اسمك؛ لأنهم سيجدون أسماءهم تتضمن اسم أبيهم وجدهم، ثم لقب العائلة مباشرة؟!

أما يوم القيامة فلن يلتفت إليك أحد، وسيفر منك الجميع حتى أقرب الناس

(١) قصر الأمل لابن أبي الدنيا ص ١٠٦، ١٠٧، دار ابن حزم - بيروت.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ١٥٥/٢.

(٣) التذكرة للقرطبي ٢٦، ٢٧، دار البخاري - المدينة المنورة.

وأحبهم إليك: ﴿يَوْمَ يَقْرَأُ الْمُرءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿ وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ ﴿ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُعْنِيهِ ﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٧].

بل ستفرح زوجتك، ويفرح أولادك وأقاربك - في هذا اليوم - بكل ظلم أوقعته عليهم في الدنيا.. قال ابن مسعود: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين، ثم نادى مناد: ألا من كان له مظلمة فليجيء فليأخذ حقه.. فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته، وإن كان صغيراً، ومصدق ذلك في كتاب الله، قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١] ^(١).

إن ملايين البشر الذين سبقونا إلى القبور يتمنون العودة إلى الدنيا ولو للحظة واحدة يسبحون الله فيها تسبيحة واحدة، أو يستغفرون، أو يهللون، يقول ﷺ: «ركعتان خفيفتان مما تحقرون أو تنفلون، يزيدا هذا - يشير إلى قبر - في عمله أحب إليه من بقية دنياكم» ^(٢).

إن عمر الواحد منا هو رأس ماله الحقيقي، وكل يوم يمر عليه يُقربه من لحظة النهاية.. نهاية أجله؛ ليحصد بعد ذلك ثمار ما بذره في الدنيا.

إذن فعندما تضيع علىّ وعليك فرصة القيام بطاعة ما فالخاسر هو أنا وأنت، وعندما نوفق للقيام بها، فالمستفيد هو أنا وأنت ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧].

كان فضيل الرقاشي يقول: يا هذا، لا يشغلك كثرة الناس عن نفسك، فإن الأمر يخلص إليك دونهم، ولا تقل أذهب ها هنا وها هنا فينقطع عنك النهار، فإن الأمر محفوظ عليك ^(٣).

(١) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ٣/ ٢٤٢، مكتبة العبيكان - الرياض.

(٢) السلسلة الصحيحة، ح (١٢٨٨).

(٣) قصر الأمل لابن أبي الدنيا ص ١٢٥.

من هنا تتبين لنا خطورة هذه الدائرة وأهميتها والتي يمكننا أن نضع لها شعاراً بعنوان: نفسي أولاً.

مجالات العمل مع النفس:
ولكي نُحسن تطبيق شعار (نفسى أولاً) علينا أن نتحرك من خلال محاور ثلاثة، وهي: العقل والقلب والنفس.

فالعقل يحتاج دوماً إلى تزويده بالعلم النافع الذي يوسع آفاقه ومداركه، ويعرفه بخالقه، وبأحكام دينه، وبالزمان الذي يعيش فيه.

والقلب يحتاج باستمرار إلى تعاهد وإمداد بما يزيد الإيمان فيه.. فالإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وكلما نقص الإيمان في القلب تمكّن منه الهوى وازداد تعلقه بالدنيا، ورغبته فيها، ومن ثم تظهر آثار ذلك على السلوك من استئثار للطاعة، واستسهال للمعصية، والسعي الحثيث لتحصيل أكبر قدر من الدنيا.

.. ومع ضرورة تعاهد القلب والعقل، تأتي النفس كمحور أساسي ينبغي الاهتمام به باعتبار أنها تشكل العائق الأكبر الذي يحول بين العبد وبين إخلاص عمله لله عز وجل ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿[الشمس: ٧-١٠].

الدائرة الثانية: مع الأهل:

اهتمام المسلم بأهله بما يصلحهم يلى في الأهمية اهتمامه بنفسه، بل إن اهتمامه بهم ينطلق من اهتمامه بنفسه باعتبار أن لهم عليه حقوقاً ينبغي أن يقوم بها، فإن تخلف عنها تعرض للمساءلة أمام الله عز وجل، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]، وقال ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها، وهي مسئولة عن رعيته...»^(١).

(١) رواه البخاري (٥١٨٨) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وأهم مسئولية سيُسأل عنها الراعي هي تنفيذ ما طلبه الله منه ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢].

لابد - إذن - من إقامة الدين في بيوتنا كجزء أساسي من مهمتنا في الحياة، والتي سيحاسبنا الله عليها.

إن الكثير منا يشكو من إغراض الناس عنه، وعدم التفافهم حوله، ويشكو كذلك من الضغوط التي يتعرض لها في عمله الدعوي.. فأين الضغوط في بيوتنا؟! ألسنا أصحاب السلطان فيها؟! فكيف - إذن - نتركها ولا نهتم بها؟!

كيف نسعى إلى الناس ونتحجب إليهم، ونبذل معهم جهداً كبيراً لتأليف قلوبهم، وتحبيبهم في الدين؟ كيف نفعل هذا كله ونثابر عليه - وهذا أمر مطلوب - وفي الوقت نفسه لا نقوم ولو بجزء يسير منه مع أهلنا مع أنهم أولى بذلك؟! يا بنى اركب معنا:

إن العمل الجاد في بيوتنا لتعبيدها لله عز وجل ينبغي أن يأخذ منا اهتماماً كبيراً، وإلا سيحدث ما لا تحمد عقباه. فالالتزام بخط الاستقامة على أمر الله، والسير في طريق الدعوة، لا يأتي بالوراثة.. فمهما كنت - أخي الداعية - بارزاً في دعوتك، فلن يكون هذا سبباً كافياً في انتهاج أولادك نفس طريقك.

ليتخيل كل منا أبناءه وقد كبروا وساروا في طريق الدنيا، وأصبح لهم من يوجههم غيره..

ليتخيل كل منا أبناءه وقد شردوا عنه، وركبوا مع غيره، وابتعدوا عن ركب دعوته، كيف يكون حزنه وألمه وهو يراهم يحترقون أمامه وهو عاجز لا يستطيع أن يفعل لهم شيئاً؟!

بيوتنا في خطر:

إن ما يحدث الآن على الساحة الإسلامية من هجمات تغريبية شرسة، تريد

طمس هوية الأمة وتذويب شخصيتها، يستدعى من كل أب أن يكون متيقظاً لما يحدث في بيته، فزوجته وأبناؤه أمانة في عنقه، ومن متطلبات هذه الأمانة الحفاظ عليهم مما حولهم من المؤثرات السلبية.

ولنعلم جميعاً أن مسئوليتنا مع أبنائنا ليست فقط في كسوتهم، وإطعامهم، وتعليمهم حتى يكبروا ويعتمدوا على أنفسهم، فهذه وظيفة عامة لجميع الكائنات الحية، فالطيور أو القطط - مثلاً - توفر الطعام والشراب لصغارها، وتقوم بتعليمهم كيفية الاعتماد على أنفسهم في جلب النفع ودفع الضرر، ولا تتركهم حتى تتأكد من قدرتهم على ذلك.

إن مسئوليتنا مع أبنائنا هي تربيتهم على العبودية لله عز وجل بكل صورها؛ من حب ورجاء وخشية له سبحانه، وطاعة لأوامره، والعمل على مرضاته؛ لينفعوا بذلك أنفسهم، وأمتهم، بل ووالديهم.. ألم يقل ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»^(١)؟! صلاحهم بصلاحك:

وهنا أمر جدير بالإشارة، وهو أننا لن نستطيع أن نُقيم الإسلام في بيوتنا ونُعبد الله عز وجل إلا إذا نجحنا في ذلك مع أنفسنا، فبقدر اهتمام الأب بنفسه، وبزيادة الإيمان في قلبه ستكون - بمشيئة الله - قوته الدافعة للاهتمام بأبنائه.

ويؤكد الآجری هذا المعنى فيقول: «واعلموا أنه من لم يصلح أن يكون طيباً لنفسه لن يُحسن أن يؤدب نفس غيره»^(٢).

فلا بد من أماننا عن البدء بأنفسنا إذا ما أردنا إصلاح بيوتنا.

الدائرة الثالثة: مع الناس:

والدائرة الثالثة التي ينبغي أن يتحرك فيها المسلم هي عموم الناس، والتي تبدأ

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة (٤١٩٩) كتاب الوصية.

(٢) أدب النفوس للأجری ٢٥، ٢٦، مكتبة لينا - دمنهور - مصر.

بأهله وأقاربه، ثم جيرانه، وزملائه في العمل، والمسلمين من حوله، وفي كل مكان. وحركة المسلم بين هؤلاء تشمل أوجهًا كثيرة؛ منها: مساعدة المحتاج، والسعي في خدمة الناس، وإصلاح ذات بينهم، وكفالة أيتامهم، ومساعدة فقرائهم..

قال ﷺ: «أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي له دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إليّ من أن أعتكف في المسجد شهرًا، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظًا لو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رضا يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له، أثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل»^(١).
أنقذ غيرك:

من أهم صور الحركة بين الناس: دعوتهم إلى الله، وإلى لزوم طريقة المستقيم ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]. وإذا كانت الدعوة إلى الله لها فضل كبير. فإنها فوق ذلك واجبة علينا جميعًا وبخاصة في عصرنا هذا، بعد أسقطت الخلافة ونُحيت الشريعة، وارتفعت رايات الباطل، واضطهد المسلمون في كل مكان.

واقع الأمة الإسلامية
القاصي والداني يدرك ما وصل إليه حال الأمة الإسلامية من ضياع، وتفكك، وذل نتجرع مرارته في الليل والنهار.

صرنا في ذيل الأمم.. أذل أهل الأرض.. تحت أقدام الكفار.
فإن كنت في شك من هذا فتتبع أماكن حملات التبشير في آسيا وإفريقيا والتي نجحت بالفعل في تنصير العديد من أبناء الإسلام، ثم انظر إلى المخطط الصهيوني وكيف يتحرك

(١) حسن، رواه الطبراني في الكبير، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، ح (١٧٤).

لمحو هوية المسلمين، وفرض الهيمنة عليهم، وابتحث في خريطة العالم عن ديارنا المغتصبة.
تأمل في مناهج التعليم التي يدرسها أبنائنا لترى كيف يتم محو الشخصية
الإسلامية لهؤلاء الصغار.

.. تأمل واقعنا الاقتصادي والسياسي والاجتماعي.
انظر إلى هذا كله لتدرك حجم المصيبة التي نزلت بساحتنا.
لقد شبت النار في دارنا، فماذا علينا أن نفعل؟!
هل نقف مكتوفي الأيدي أم نسارع في إطفائها؟!

إن الواقع الذي تعيشه الأمة الإسلامية في هذا العصر- يستوجب من الجميع
العمل من أجل تغييره، ولو لم نسارع بذلك لحق علينا وعيد الله ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا
تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]، ووعيد رسول الله ﷺ: «والذي
نفسى بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم
عقاباً من عنده، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم»^(١).

من هنا يتأكد لدينا أنه لا يكفي أن يكون الواحد منا صالحاً في نفسه فقط، بل
عليه أن يعمل على إصلاح من حوله..

.. عليه أن يوقظهم من سباتهم، وينبههم إلى المؤامرات التي تحاك لهم.
.. عليه أن يواجه مع إخوانه هجمات التغريب التي تريد محو هوية الأمة.
عليه أن ينشغل ببناء المشروع الإسلامي الذي يهدف إلى إصلاح الأمة من
داخلها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

(١) حسن، أخرجه الإمام أحمد والترمذي عن حذيفة، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، ح (٧٠٧٠).



الفصل الثاني

لماذا نُهمل أنفسنا؟

- ❖ وقفة مع النفس
- ❖ أسباب إهمال النفس
- ❖ الأخطار



وقفة مع النفس

أخي الداعية، يا من يحمل همَّ أمته، ويسعى لإقامة دين الله في زمن قعد فيه الكثيرون.. يا من يترك راحته، ويبذل وقته وماله في سبيل تبليغ دعوة ربه.

.. أنت - بفضل الله - تقوم بعمل جليل.. عمل الأنبياء والمرسلين ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

ومع أهمية هذا العمل الذي تقوم به، فإنه لا يبرر لك انشغالك عن نفسك وبيتك.. ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿اتَّأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]؟!

يعلق الإمام ابن كثير على هذه الآية فيقول: كيف يليق بكم وأنتم تأمرون الناس بالبر - وهو جماع الخير - أن تنسوا أنفسكم، وأنتم مع ذلك تتلون الكتاب، وتعلمون ما فيه على من قصر في أوامر الله؟! أفلا تعقلون ما أنتم صانعون بأنفسكم فتتبهوا من رقدتكم، وتبصروا من عمايتكم؟^(١).

كبر مقتاً:

ألا يكفيننا - أخي الداعية - وعيد الله الشديد لمن يقول ما لا يفعله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿

[الصف: ٢، ٣].

ليسأل كل من نفسه: أين هو من الله ومن لذة مناجاته، والشوق الدائم إليه؟

(١) تفسير القرآن العظيم ، ١/ ٧٣، ٧٤، مكتبة العبيكان - الرياض.

أين هو من قيام الليل وأنين السحر؟

أين هو من القرآن وتدبره؟

أين هو من البكاء خشية لله؟

أين هو من هذا أو غيره مما يحیی قلبه، ولا يعرضه للمقت من الله؟

إن انشغالنا بالدعوة لا يبرر لنا ترك هذه الأمور التي تحیی القلوب.

.. نعم أمر الناس بالبر مطلوب، وكذلك إصلاح النفس وعدم إهمالها مطلوب

أيضاً، ويؤكد هذا المعنى الحافظ ابن كثير فيقول: إن الذم الوارد في قوله تعالى:

﴿اتَّأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ ليس المراد به أمر الناس بالبر، بل المراد

نسيان النفس، فكل من الأمر بالمعروف وفعله واجب، لا يسقط أحدهما بترك

الآخر (١).

أسباب إهمال النفس

أتذكر - أخي الداعية - حالنا عند بداية انتباهنا وتديننا، وعودتنا إلى الله؟! أتذكر المهمة العالية التي كانت تصاحبنا، والدافع الذاتي للإقبال على طاعته سبحانه؟

أتذكر كم كنا نحافظ على التبكير لأداء الصلوات في المسجد، وأداء السنن، والقيام بأعمال البر المختلفة؟! فما الذي حدث؟

ما الذي جعلنا نُهمل أنفسنا، ولا نبالي بتقصيرنا، ونُفكر في إصلاح الآخرين أكثر من التفكير في إصلاح أنفسنا وبيوتنا؟ .. مما لا شك فيه أن هذا التحول الغريب في اهتماماتنا لم يحدث بين يوم وليلة، بل كان تحولاً تدريجياً، ساعدته عوامل كثيرة، منها:

أولاً: الغفلة وغياب الروح:

فمما لا شك فيه أن يقظة القلب، واشتعال جذوة الإيمان فيه من شأنها أن تجعل صاحبها في حالة من دوام الانتباه لحقيقة وجوده في الدنيا، ومسئوليته الخطيرة عن نفسه وبيته، وتدعوه دوماً إلى التشمير، والتسابق نحو الجنان، تقول السيدة عائشة - رضي الله عنها - في وصف رسول الله ﷺ: «من رأى رسول الله ﷺ فقد رآه غادياً رائحاً، لم يضع لبنة على لبنة، ولكن رُفِعَ له علم فشمر إليه»^(١).

ثانياً: العمل المعيشي:

الحياة في هذا العصر معقدة، ومطالب المعيشة فيها كثيرة - بخلاف الأزمان

(١) مدارج السالكين لابن القيم ٣/ ٣٦٦.

السابقة - مما جعل العديد من الدعاة - وهم جزء من المجتمع - يضطرون للعمل في أكثر من وظيفة؛ ليقوموا بتوفير ما يلزمهم ويلزم بيوتهم، فأدى إلى استهلاك الكثير من أوقاتهم وجهدهم في عملهم المعيشي-، فإذا ما عادوا إلى بيوتهم كانوا خائري القوى، لا يجدون وقتاً ولا جهداً، ولا عزماً لمتابعة شئون أهلهم، فضلاً عن اهتمامهم بأنفسهم.

ثالثاً: الانشغال بالدعوة:

فالداعية إلى الله لا يستطيع أن يقف مكتوف اليدين تجاه ما يحدث حوله من تخريب وهدم وبعد عن الله عز وجل وعن شريعته، فكان لزاماً عليه أن يبذل أقصى ما عنده من جهد لإصلاح كل ثغرة يجدها أمامه، وبخاصة أن الثغرات في المجتمع كثيرة، والأيدي العاملة في مجال الدعوة قليلة، فأدى ذلك بالبعض إلى الانشغال الشديد بأمور الدعوة مما قد يستهلك وقته، وهيمته، وعزمه، فيعود إلى بيته منهك القوى، بارد الحس، يبحث عن مكان نومه ليرتاح.. فإن جلس مع أهله وأبنائه فبجسده فقط.. لا حيوية في كلامه، ولا مشاركة حقيقية في حديثهم، فإذا ما طلب منه التعليق على كلامهم، كانت تعليقاته جافة تهدف إلى إنهاء الحديث بأي شكل؛ ليذهب إلى سريره.

ورابع هذه العوامل التي استدرجت البعض لإهمال نفسه:

أن النجاح الذي يحققه الداعية في مجاله الدعوى يشعره بالسعادة، ويدفعه إلى مزيد من العمل وبذل الجهد في اتجاه الآخرين؛ ليكون ذلك على حساب اهتمامه بنفسه وبيته.

خامساً: أن النفس قد تجد حظها ولذتها في كثرة الكلام والخلطة بين الناس أكثر مما تجده في الكلام مع الأهل والأولاد؛ لأن حديثها إلى الناس قد تستمع فيه على ثنائهم ومدحهم لها، فتنتشى بذلك وتطرب أيما طرب، أما مع الأهل والأولاد فنادرًا ما يكون الثناء والمدح مصاحبًا لحديثهم، بل قد يحدث العكس

نتيجة تقصيره معهم.

سادساً: ومن أسباب إهمالنا أننا لا نجد من يلومنا على ذلك.. فعمل الداعية مع نفسه وبيته مسئوليته الشخصية عليه أن يقوم بها، ولن يحاسبه أحد إذا ما قصر في ذلك، وفي المقابل، فإن عمله الدعوى محط أنظار الكثيرين، مما يجعله عرضة للنقد إذا ما قصر فيه، فيدفعه خوفه من الملامة إلى الاجتهاد في عمله مع الآخرين على حساب عمله مع نفسه وبيته.

سابعاً: العمل مع النفس يحتاج إلى جهد متواصل، وقوة دافعة تدفع صاحبها للاستمرار في أوراده وقراءاته وطاعاته، ويحتاج كذلك إلى تفرغ بعض الأوقات في كل يوم، مما يشق على النفس، ويدفعها للتمرد، وتسويغ المبررات للخروج من هذه الدائرة، والانطلاق إلى الحركة وسط الناس.

ثامناً: النفس وما عودتها تتعود، فمن اعتاد كثرة الحركة الخارجية يصعب عليه أن يجلس في بيته، فإن لم يكن مشغولاً بعمل يؤديه، تراه يبحث عما يشغل وقته، فيذهب إلى صديق ليجلس معه، ويعرض عليه مصاحبته في قضاء حوائجه.. فإذا ما اضطرت الظروف لكي يجلس في بيته - على غير ما اعتاد - يشعر بأن هناك شيئاً ينقصه.

الأخطار



إن مشكلة انشغال الداعية عن نفسه وبيته مشكلة خطيرة، ويكفي في بيان خطورتها ما قاله عليه السلام: «مثل الذي يعلم الناس الخير، وينسى نفسه، مثل الفتيلة، تُضيء للناس وتحرق نفسها»^(١).

ويؤكد مصطفى صادق الرافعي خطورة ذلك فيقول: إن الخطأ أكبر الخطأ أن تنظم الحياة من حولك، وتترك الفوضى في قلبك؟^(٢).

أخي الداعية:

ما قيمة أن تضییء لغيرك وتحرق نفسك؟!
.. ما قيمة أن تنظم الحياة للناس من حولك وتترك الفوضى تعيش في حياتك؟!
.. ما قيمة أن تستيقظ على أشعة الشمس فتصلي الفجر في غير وقته، ثم تخرج للناس فتعلمهم الخير؟!
تأمل معي قوله عليه السلام: «يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أفتابه، فيدور بها في النار، كما يدور الحمار برحاه، فيطيف به أهل النار، فيقولون: يا فلان، ما أصابك؟ ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقول: بلى، قد كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه»^(٣).

خطورة نسيان النفس:

إن الاهتمام بالحركة مع الآخرين ونسيان النفس له مخاطر عظيمة ومهلكة، وإليك - أخي الداعية - بعضاً منها:

(١) صحيح، أخرجه الطبراني في الكبير عن أبي برزة، وأورده الألباني في صحيح الجامع، ح(٥٨٣٧).

(٢) وحي القلم ٢/ ٤٢.

(٣) متفق عليه.

أولاً: الوحشة وضيق الصدر: فنسيان النفس يؤدي إلى ضعف الإيمان، واستئثار القيام بالطاعة، والوقوع في بعض المحظورات؛ مما يعرض الشخص للعقوبات الإلهية وعلى رأسها ضيق الصدر، والوحشة وعدم السكينة: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءً يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣].

ثانياً: عدم السلام الداخلي مع النفس: فالداعية يعرف ما هو مطلوب منه مع نفسه من قيام ليل، وصلاة للجماعة بالمسجد، ونوافل، وأذكار، ودوام اتصال بالقرآن.. وعندما يهمل في القيام بهذه الأمور مع استمراره في دعوة الناس، وترغيبهم في فعل الخير، فإن هذا من شأنه أن يشعره بالتناقض والاضطراب الداخلي؛ لإحساسه بأنه يقول ما لا يفعل فيزداد همًّا وغمًّا، وبخاصة كلما مرَّ عليه موسم من مواسم الخير دون أن يغتنمه.

ثالثاً: قلة التوفيق: عندما ينسى الداعية نفسه، وينشغل بالحركة وسط الناس فإنه بذلك يفقد عاملاً مهماً في حياته ألا وهو التوفيق الإلهي، والبركة في وقته وعمله، فتوفيق الله للعبد مرتبط بمدى استقامته على أمره ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿۝۷۰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿۝۷۱ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿۝۷۲﴾﴾ [الليل: ٥ - ٧]، وعندما يغيب التوفيق تتعثر الأعمال، ويستغرق أداؤها وقتاً طويلاً مع ضعف الثمرة والنتائج المرجوة.

رابعاً: ضعف الإخلاص: عندما ينسى الداعية نفسه، فيتركها دون محاسبة وتعاهد مستمر، فإن ذلك من شأنه أن يضعف إخلاص توجهه لله عز وجل في أعماله وأقواله، وتُصبح حركته وسط الناس من باب العادة، أو الحياء من نقد الآخرين له، أو لنيل رضا رؤسائه، أو لارتفاع منزلته عند الناس.. كل هذا - والعياذ بالله - قد يُحبط العمل ويجعله هباءً منثوراً.

خامساً: الإصابة بداء الإعجاب بالنفس: فعندما يغفل الداعية عن نفسه فإن داء العُجب يجد الطريق أمامه ممهداً للسيطرة عليه؛ ومن ثم تتضخم ذاته، فمع كل كلمة

يقولها أو عمل إيجابي يقوم به يجد داخله ما يدفعه للإعجاب بذلك؛ فتكبر نفسه، وتكبر، ويعتقد انه مميز بذاته، وينسى فضل ربه عليه، فيؤدي للغرور والكبر، ومن ثمَّ غضب الله ومقتته له.

قال ﷺ: «فأما المهلكات: فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه»^(١).

سادساً: مشكلات في البيت: فمن يهمل نفسه، وأهل بيته، وينشغل بالحركة وسط الناس فستكثر مشاكله في بيته بسبب تقصيره في القيام بحقوق زوجته وأولاده، وأبيه وأمه، وأرحامه.. بل قد يكره هؤلاء دعوته التي حرمتهم منه، وجعلتهم يعانون هذه المعاناة.

.. يمرض الابن فلا يجد أباه بجواره.. تحدث له مشاكل في المدرسة، فلا يستطيع الأب الذهاب إليها لمعرفة أبعاد تلك المشاكل..

يُفتح التلفاز دون رقيب.. تحدث أحداث جلييلة في المنزل لا تخبره بها زوجته؛ لأنها لا تجد منه أذنًا مصغية، أو عونًا حقيقياً.. وهكذا..

سابعاً: مشكلات بين الدعاة: فعندما يهمل الداعية محاسبة نفسه، وتعاهد قلبه، فإن إيمانه يضعف، ونفسه تكبر في عينيه وتصبح أمامه، فتحدث تبعاً لذلك مشكلات بينه وبين أقرانه.. حيث يقل العفو والتسامح.. ويزداد الجدل والاعتداد بالرأي.. ويعرف الحسد والحقد طريقه إلى القلوب.

ثامناً: ضعف التأثير في الآخرين: فكثرة الانشغال بالحركة وسط الناس، وعدم اهتمام الداعية بنفسه وبالزاد الذي يُغذى عقله وقلبه، كل هذا من شأنه أن يجعله دوماً يكرر كلماته وحكاياته، فليس عنده جديد يُعطيه لغيره.. وكيف له أن يأتي بالجديد وهو لا يكاد يجلس في مكتبه، فإن جلس فلقراءة سريعة وخاطفة

(١) حسن: رواه الطيالسي عن ابن عمر، وأورده الألباني في صحيح الجامع، ح (٣٠٤٥).

للموضوع الذي سيتحدث فيه أمام الآخرين.. فإذا ما تحدث بما قرأ كان كلاماً مرسلاً بلا روح، وغير موثق بالآية أو الحديث أو الأثر، مما يؤدي إلى ملل المستمعين إليه، وعدم ثقتهم فيه، ومن ثم انفضاضهم من حوله.

تاسعاً: ظهور آثار ضعف الإيمان: كلما أهمل الداعية نفسه ضعف الإيمان في قلبه، وكثرت مظاهر ذلك الضعف على الجوارح.. فصلاة الجماعة بالمسجد التي كانت لا تفوته بدأ يتهاون فيها، فتراه لا يجد بأساً من الصلاة في البيت مع تأخيرها عن وقت الأفضلية، ناهيك عن سرحانه فيها، وتضييعه خشوعها.

.. يُهجر القرآن، وتُترك السنن.. يضعف الورع، ويقل التمسك بالسنة والتأسي برسول الله ﷺ.. تتغير الاهتمامات والتطلعات لتتجه إلى الدنيا فيزداد حرصه على شراء الكماليات والخروج إلى المصايف والمنتزهات دون اهتمام بما يحدث فيها من مخالفات تغضب الله عز وجل.

.. يضعف أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر.. تُرتكب في بيته المخالفات فلا يغضب الله، و....

عاشراً: القعود عن العمل الدعوي: فعندما يهمل الداعية زاده، وقوت قلبه، فمن المتوقع أن يتسرب إليه الشعور بثقل الأعمال الدعوية، ومن ثم يتحين الفرصة المناسبة للتفlect منها، لينضم إلى صفوف القاعدين.





الفصل الثالث

مفاهيم ينبغي أن تُصحح

- ❧ التوازن والتكامل في الأعمال
- ❧ أفضل العبادات
- ❧ مراجعة التكاليف الدعوية
- ❧ وصف الإمام البنا للداعية
- ❧ لا استثناء لأحد
- ❧ هكذا كان المصلحون





التوازن والتكامل في الأعمال

من أهم أسباب إهمال النفس - كما أسلفنا - الغفلة وغياب الروح، والانشغال بالعمل المعيشي، والاستغراق في الأعمال الدعوية على حساب الواجبات الأخرى.

وفي الأسطر القادمة سيتم - بإذن الله - الحديث عن بعض المفاهيم التي ينبغي أن تصحح حول العلاقة بين العمل الدعوي والعمل مع النفس والأهل، وأن الاهتمام بالعمل الدعوي - مع أهميته - لا مبرر لأحد إهمال نفسه أو بيته، وكذلك فإن اهتمامه ببيته لا يسوّغ له إهمال واجباته الدعوية، ولعل ما حدث بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء - رضى الله عنهما - يؤكد لنا ضرورة التوازن بين الواجبات، وألا يطغى جانب على آخر..

عن أبي جحيفة - رضى الله عنه - قال: أخى النبي ﷺ بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء مُتَبَدِّلَةً ^(١)، فقال: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا. فجاء أبو الدرداء، فصنع له طعامًا، فقال له: كل فإني صائم، قال: ما أنا بأكل حتى تأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم فقال له: نم، فنام، ثم ذهب يقوم فقال له: نم، فلما كان آخر الليل قال سلمان: قُمْ الآن. فصليا جميعًا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقًا، وإن لنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، فأعط كل ذى حق حقه. فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي: «صدق سلمان» ^(٢).

من صور عدم التوازن:

(١) متبدلة: أي لابسة ثياب المهنة تاركة ثياب الزينة.

(٢) رواه البخاري (١٩٦٨، ٦١٣٩).

إذا ما نظرنا إلى واقعنا سنجد أن هناك صوراً عديدة لعدم التوازن بين الواجبات المختلفة، فالبعض منا عندما يشاهد ما يحدث لأمته من ذل وهوان تراه متحمساً حماساً شديداً للعمل للإسلام، فيدفعه هذا الحماس إلى الانشغال بالدعوة بين الناس، وولوج كل باب للإصلاح يُفتح أمامه.. وفي الوقت ذاته تجده مهملاً لإصلاح نفسه وبيته ظناً منه أن الأولوية للدعوة في إطار المجتمع.

وعندما يرى البعض ما يحدث أمامه من هجمة تعريية تريد طمس الهوية الإسلامية لأبناء الأمة، سواء كان ذلك من وسائل الإعلام أو مناهج التعليم، فإنه يبدو خائفاً أشد الخوف على أولاده من هذه الهجمة، مما ينعكس على تصرفاته معهم، فتراه ملازماً لهم، مهتماً بكل صغيرة وكبيرة في حياتهم، ويعتبر ذلك هو مهمته الأولى في حياته، مما يؤدي إلى إهماله لواجباته الدعوية.

والبعض الآخر يرى الفتن التي تحيط بالمسلم ليل نهار، فيخاف على نفسه ويفكر في كيفية نجاته منها بغض النظر عما يحدث للآخرين، فشعاره «نفسي نفسي»، لذلك تراه دوماً مهتماً بالأوراد والأذكار والاعتكاف والنوم المبكر تاركاً الفوضى تعيث في بيته فضلاً عن مجتمعه.

.. فهذه صور ثلاث لعدم التوازن بين الواجبات نجدها تتكرر بيننا وبنسب مختلفة.

وما لاشك فيه أن القاسم المشترك بينها هو القصور في الفهم الصحيح لمفهوم التوازن والتكامل في العبادات.

ولو نظرنا إلى منشأ ذلك القصور لوجدنا أن سببه الرئيسي - يكمن في تسليط الفرد الضوء على جانب واحد من جوانب العمل الثلاثة، واستدعاء النصوص التي تخدمه، وعدم النظر إلى النصوص الأخرى التي تحثه على الاهتمام ببقية الجوانب.

.. من هنا تظهر قيمة الاهتمام بالفهم الصحيح للإسلام وشموله لجوانب الحياة المختلفة، وألا يقتصر الفهم على الناحية النظرية، بل لابد أن يشمل الاهتمام كذلك تطبيق الإسلام بشموله وتوازنه في واقع الحياة.

أفضل العبادات



من لوازم الفهم الصحيح للواجبات المطلوبة من المسلم: إدراك كيفية ترتيبها حسب أهميتها، والتي قد تختلف من زمان لآخر، ومن شخص لآخر.

ومما يؤكد هذا المعنى أن رسول الله ﷺ كانت إجاباته عن أسئلة السائلين حول «أفضل العبادات» تختلف من شخص لآخر، وإليك أمثلة لذلك:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سئل رسول الله ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور»^(١).

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أحب إلى الله تعالى؟ قال: «الصلاة على وقتها» قلت: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين»، قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»^(٢).

وعن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قلت يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟ قال: «الإيمان بالله والجهاد في سبيل الله»^(٣).

يقول الإمام ابن حجر العسقلاني في تعليقه على هذه الإجابات: إنه لا اختلاف بين هذه الأحاديث؛ لأن الجواب اختلف لاختلاف أحوال السائلين، بأن أعلم ﷺ كل قوم بما يحتاجون إليه، أو بما لهم فيه رغبة، أو بما هو لائق بهم، أو كان الاختلاف

(١) رواه البخاري (٢٦)، ومسلم (٢٤٤).

(٢) رواه البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٢٤٨).

(٣) رواه البخاري (٢٥١٨)، ومسلم (٢٤٦).

باختلاف الأوقات بأن يكون العمل في ذلك الوقت أفضل منه في غيره ^(١).

ويؤكد هذا المعنى الدكتور عبد الكريم زيدان فيقول:

القاعدة في أفضل الأعمال الصالحة بالنسبة لشخص ما هي العمل المطلوب منه شرعاً في وقت معين وظرف معين، فالصلاة حين حلول وقتها أفضل من غيرها وأوجب على المسلم أن ينشغل بها، والجهاد في وقته أفضل بالنسبة لمن وجب عليه من القيام بنوافل العبادات وطلب العلم، والصيام في وقته أفضل بالنسبة لمن وجب عليه من الاشتغال بغيره من العبادات وهكذا.

وعلى المسلم أن يتحرى ما هو أحب لله تعالى في ذلك الوقت، أو في هذا الظرف القائم، فيسارع إليه ويفضله على ما سواه، وبهذا تتحقق فيه العبودية الخالصة لله بإيثاره دائماً ما يحبه الله على ما تحبه نفسه وتمواه، وإن كان من الأعمال الصالحة ^(٢).

ولذلك كان مما وصى به أبو بكر عمر بن الخطاب - رضى الله عنهما - عند وفاته: إنا لله حقاً بالنهار لا يقبله في الليل، والله حقاً بالليل لا يقبله في النهار، وإنها لا تقبل نافلة حتى تؤدى فريضة ^(٣).

وخلاصة القول: إن على كل منا أن يتوازن في أدائه للواجبات المختلفة، وأن تكون حركته متكاملة في نطاق الدوائر الثلاث: نفسه، وبيته، ومجتمعه، وعليه كذلك أن يُحسن ترتيب أولوياته حسب الظرف والحال الذي يمر به.. ففي وقت الصلاة ينبغي أن يكون في المسجد وفي الصفوف الأولى، وفي وقت السَّحَر عليه أن يكون مستيقظاً يصلي، ويستغفر ويبكي، أما في وقت العمل فلا بد أن يكون في ديوانه مجتهداً نشيطاً.. يهتم ببيته وما يصلحه وكأنه لا يفارقه، وينشغل بالدعوة وكأنه متفرغ لها.

(١) فتح الباري ١٣/٢.

(٢) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان ص ٤١، ٤٢.

(٣) تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ٧١.

مراجعة التكاليف الدعوية



أخي الداعية..

لا بديل - إذن - من التوازن بين الدوائر الثلاث، إذا ما أردنا أن ننجح في المهمة التي طالبنا الله بأدائها في الأرض.. ومما يساعدنا على ذلك أن يكون لكل واحد منا عينان ينظر بهما وهو يسير في الحياة.. عين يتحرك بها بين الناس.. يدعوهم ويوجههم لفعل الخير، وعين يراقب بها نفسه، ويتعاهدها بما يصلحها.

راجع التكليف:

ليكن ميزان كل منا في يده، وليكن شعاره ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ [الرحمن: ٨]، وعندما يشعر أحدنا بميل كفة عن أخرى فليسارع بالعمل على إحداث التوازن بينهما، ولا بأس من مراجعة التكاليف الدعوية التي تتسبب في طغيان الميزان.. علينا ألا نستحي من طلب الإعانة أو التخفيف، فالذي يُكلف أخاه القيام بعمل ما لا ينظر إلى مدى اهتمامه بنفسه أو بيته باعتبار أن ذلك مهمة كل فرد بمفرده، فإذا قبل الأخ تكليف أخيه فإن هذا يعني أن هذا العمل ليس فوق طاقته التي ينبغي أن تتوزع بين الدوائر الثلاث كما أسلفنا.

أنت.. أم موسى عليه السلام؟!

تأمل معي قصة موسى - عليه السلام - وكيف استقبل تكليفه بالرسالة.. ممن؟! من الله عز وجل.

الذي حدث - كما أخبرنا بذلك القرآن - أن موسى عليه السلام حين كُلف بالرسالة طلب من ربه أن يجعل معه شخصاً آخر يساعده في حملها والقيام بأعبائها، واقترح - عليه السلام - أن يكون هذا الشخص هو أخاه هارون.

لما فعل ذلك موسى - عليه السلام؟!!

ولما طلب الإعانة بأخيه؟!

يجيب القرآن عن هذه التساؤلات بقوله تعالى - على لسان موسى عليه السلام -: ﴿وَأَجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ [طه: ٢٩ - ٣٥].

إذن فموسى - عليه السلام - طلب مساعدة أخيه له، لا ليرتاح، بل ليحدث التوازن والاعتدال ويضبط الميزان، فحمله الرسالة بمفرده قد يشغله عن الذكر الكثير لله عز وجل، أما وجود أخيه معه فإنه يتيح له ولأخيه ذلك الأمر.

وصف الإمام البنا للداعية



فإن قلت: وما قولك في وصف الإمام حسن البنا للداعية والذي يتنافى مع ما قيل في الصفحات السابقة؟!

يقول حسن البنا: قليل من الناس من يعرف أن الداعية من دعاة الإخوان قد يخرج من عمله المصلحي في عصر الخميس فإذا هو في العشاء بالمния يحاضر الناس، وإذا هو في صلاة الجمعة يخطب بمنفلوط، فإذا هو في العصر يُحاضر بأسوط، وبعد العشاء يُحاضر بسوهاج، ثم يعود أدراجه فإذا هو في الصباح الباكر في مركز عمله قبل إخوانه من الموظفين. أربع حفلات جامعات يحضرها الداعية من دعاة الإخوان في أطراف القطر في ثلاثين ساعة، ثم يعود أدراجه هادئ النفس مطمئن القلب يحمد الله على ما وفقه إليه ولا يشعر به إلا الذين استمعوه^(١).

.. نعم، يمكن للبعض أن يفعل ذلك، وهذا هو المجاهد حقاً، ولكن شريطة عدم إهماله لنفسه، ودوام تعاهاها وإمدادها بما يصلحها كما سيمر علينا من فعل الرسول ﷺ، والصحابة رضوان الله عليهم، وكبار المصلحين بمن فيهم البنا - رحمه الله - فالمقياس هو عدم طغيان الميزان.

أليس حسن البنا هو القائل: أيها الإخوان، إنكم في دور التكوين، فلا يلهيكنم السراب الخادع عن حسن الاستعداد وكمال التأهب، اصرفوا تسعين جزءاً من المائة من وقتكم لهذا التكوين، وانصرفوا فيه لأنفسكم واجعلوا العشرة أجزاء الباقية لما حولكم من الشئون. حتى يشتد عودكم، ويتم استعدادكم، وتكمل أهبتكم، وحينئذ يفتح الله بينكم وبين قومكم بالحق وهو خير الفاتحين.

(١) رسالة المؤتمر الخامس، مجموعة الرسائل لحسن البنا ص ١٨٢، ١٨٣، دار الدعوة - الإسكندرية.

فإن استطعت - أخي الداعية - أن تتحرك بالدعوة وتعطيها الساعات الطوال من ليلك ونهارك، وفي نفس الوقت تهتم بنفسك وبيتك، فاعلم أنك بذلك تكون السابق حقاً.

فالميزان - إذن - في يدك، لا في يد غيرك، وأنت الوحيد الذي تستطيع أن تقرر مدى توازنك في الدوائر الثلاث.

الوصية الجامعة:

لقد كان الإمام حسن البنا دائم التذكير لمن حوله بضرورة التوازن بين الدوائر الثلاث، ولك أن تتأكد من ذلك بقراءتك لهذا الخطاب الذي أرسله إلى أبناء الدعوة بعد المؤتمر الخامس للدعوة.

يقول - رحمه الله:

أظنني - أيها الإخوان - قد تناولت فكرتكم في كلمة المؤتمر من الوجهة النظرية بما لا يدع في نفس أحد شبهة، وبما لا يحتاج بعد ذلك إلى شرح أو بيان، ولكن الكلام وحده لا قيمة له إن لم تصدقه الأعمال، ويتبعه التنفيذ المباشر، وإن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم.

العمل مع النفس:

أيها الإخوان المسلمون، العمل مع أنفسنا هو أول واجباتنا، فجاهدوا أنفسكم واحملوها على تعاليم الإسلام وأحكامه، ولا تتهاونوا معها في ذلك بأي وجه من الوجوه... أدوا الفرائض، وأقبلوا على الطاعة، وفروا من الإثم، وتطهروا من العصيان، وصلوا قلوبكم ومشاعركم دائماً بالله الذي له ملك السماوات والأرض... قاوموا الكسل والعجز، ووجهوا شبابكم ومشاعركم وعواطفكم إلى الفضيلة الطاهرة النقية، وخالفوا نزعات الطيش ومضلات الهوى، واحرصوا على الوقت، فلا تصرفوه في غير فائدة، وحاسبوا أنفسكم فيه حساباً عسيراً، واحذروا

أن تمر بكم دقيقة واحدة لا يكون لأحدكم فيها عمل طيب وسعى مبرور.
العمل مع البيوت:

والعمل مع بيوتكم وأسركم - أيها الإخوان - أقدم واجباً عليكم، فالأمة هي مجموع هذه الأسر، وإذا قويت دعائم الأسرة قوى بناء الأمة واطمأننا على الجيل الجديد كل الاطمئنان. فتلطفوا مع أهليكم وأسركم وأصدقائكم واحملوهم جميعاً على خطبتكم؛ وأقنعوهم في أدب ولطف ومنطق وحجة بوجاهة رأيكم، واعتدال طريقكم، وفائدة عملكم؛ حتى يكونوا معكم فيما أنتم بصدده من عمل مجيد نبيل.

ووحدتكم - أيها الإخوان - وارتباطكم هو السلاح الأول، وهو أقوى الأسلحة في أيديكم؛ فاحرصوا على هذه الوحدة وكونوا دائماً مع الجماعة، ولا تخالفوا عن أمر إخوانكم، ولا تفرقن بينكم المشاغل الزائلة، ولا الأوهام القاتلة.

نشر الدعوة:

انشروا الفكرة في كل محيط يتصل بكم: في الحوانيت، والشوارع، والبيوت، والمساجد، والمقاهي، والمجالس العامة والخاصة، وفي القرى والريف، والمدن والعواصم، وفي المصانع والمعامل، والحقول والمدارس. وأجمعوا قلوب الناس جميعاً على كتاب الله وتحت لواء محمد ﷺ أفضل خلق الله أجمعين «ورحمة الله للعالمين»؛ فلواؤه لواء الحمد، وشرعته منهج الرشد، وهديه أفضل الهدى، ومن استظل بظله وسار تحت رايته فاز في الدنيا بالنصر ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ [التحريم: ٨] وفاز في الآخرة بالأجر ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾.

الاقتصاد في المعيشة:

اقتصادوا من أموالكم لأيامكم ومستقبلكم؛ فإنكم لا تدرون ما الموقف غداً، ولا يصرفنكم ذلك عن الثقة بمولاكم، والاعتماد على بارئكم، وإنما هو على حد قول النبي الصالح: ﴿يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ [يوسف: ٦٧]، ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢].

أيها الإخوان، الإيمان القوى، والعمل الصالح، والإقبال على الطاعة، والبعد عن المعصية، والحرص على الوحدة، والعمل الدائب، والجهاد المستمر، وحسن النظام، وإخلاص الغاية.. كلها دعائم لا بد أن تتوافر في مجتمعاتكم بوضوح تام؛ حتى تذللوا ما يعترض طريقكم من عقبات، وإنها لكثيرة إلا لمن يسرها الله عليه. انتهى^(١).

(١) من مقال للأستاذ جمعة أمين تحت عنوان: «خطاب للبنّا» نشر بجريدة «آفاق عربية» المصرية بتاريخ ٨ من ربيع الآخر ١٤٢٥.

مصلحة الدعوة !!

قد يقول قائل: أهذا كلام يُقال في هذا الوقت الذي تتعرض فيه الأمة لهذه الهجمة الشرسة؟!

أليس من الأفضل أن يتوجه الحديث إلى الدعاة وحثهم على بذل المزيد من الجهد والتضحية من أجل إقامة المشروع الإسلامي؟!

ألا يكفي قعود البعض عن العمل للإسلام والدعوة إلى الله؟!

من - إذن - سيتحرك وسط الناس ويملاً الأماكن الشاغرة بينهم إن قلل الدعاة العاملون من جهدهم المبذول وأبطأوا من خطواتهم؟!

هذه بعض الأسئلة التي من المتوقع أن تدور في أذهان البعض، وتنطلق من غيرتهم على دينهم وتشوقهم لرؤية المشروع الإسلامي وقد اكتمل بناؤه.

ومن هذا المنطلق أيضاً كانت هذه الصفحات.

أسباب النصر والتغيير:

لو كانت أسباب النصر والتغيير أسباباً مادية فقط لكان الحديث موجهاً للدعاة ببذل المزيد من الجهد وسط الناس دون الالتفات إلى متطلبات إصلاح النفس، أما إن كان النصر - من عند الله، يمنحه لمن يرى أنه أهل لذلك؛ فالأمر بلا شك سيختلف.

لقد طلب الله عز وجل من عباده بعض المطالب التي من شأنها - حين تتوافر - أن تستدعي نصره وتأييده، وعلى رأس تلك المطالب، أن نصره - على نفوسنا ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، وأن نترك كل شيء يغضبه، وأن نفعل ما يرضيه.. أي أن نغير ما بأنفسنا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا

بِأَنْفُسِهِمْ ﴿الرعد: ١١﴾، وأن نكون عبيداً له ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾

[الأنبياء: ١٠٥، ١٠٦].

ومع هذا كله يأتي الإعداد المادي حسب الطاقة والمساحة المتاحة ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنفال: ٦٠].

إذن فأغلب أسباب النصر تنطلق من داخلنا، ولا بديل عن تغيير ما بأنفسنا لنصبح عبيداً لله عز وجل في كل شيء؛ في التصورات والاهتمامات، في السر-والعلانية، في الأقوال والأفعال، فيتمثل فينا قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٦﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾

[الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

... نعم، علينا كذلك أن ندعو الناس ونأخذ بأيديهم إلى الله، فلا يكفي صلاح مجموعة قليلة من الأفراد لينصلح حال المجتمع، بل لابد أن تعود الأمة إلى الله، فتفر إليه، وتصلح معه، وتترك كل ما يُغضبه، ولكن لا يمكننا القيام بهذا الدور الخطير في دعوة الناس إلى الله، وتنبههم للخطر المحقق بهم، وإرشادهم إلى طريق العودة إلى ربهم.. لا يمكننا فعل هذا كله وبطريقة صحيحة ومؤثرة إلا إذا كنا قد أحسنا التعامل مع أنفسنا، وأقمنا الإسلام في بيوتنا، فكما قالوا: فاقد الشيء لا يُعطيه، وعلى قدر ما في الخزان من ماء يكون استمرار تدفقه في الصنابير.

مصلحة الدعوة الحقيقية:

إن مصلحة الدعوة الحقيقية تكمن في العمل على إصلاحنا لأنفسنا أولاً، وبيوتنا ثانياً، والمجتمع ثالثاً.

مصلحة الدعوة تأتي من توازننا في الدوائر الثلاث..

.. مصلحة الدعوة أن نكون من أهل القرآن، ومن أهل القيام، والذكر

.. مصلحة الدعوة أن يكون منا عند نفسه صغيراً، فلا يراها إلا بعين
النقص والحذر، وفي المقابل فإن من لم يهتم بذلك، وينشغل فقط بالحركة الخارجية
وسط المجتمع، فقد أضر بدعوته، وابتعد بها عن مظان التوفيق الإلهي، فالكرامة
على قدر الاستقامة ﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾
[الجن: ١٦].

إياك والقعود:

فإن كانت مصلحة الدعوة الحقيقية تستلزم منا التوازن بين الدوائر الثلاث –
النفس والبيت والمجتمع – فلنجتهد في ذلك غاية الاجتهاد، ولنحتسب عند الله
عملنا مع زوجاتنا وأبنائنا كما نحتسب عنده عملنا مع الناس.

نعم، قد تتعرض – أخي الداعية – لبعض العتاب من أصدقائك، وقد تسمع
منهم كلاماً يُشعرك بأنك مقصر في الدعوة والعمل لله عز وجل.

عتابهم هذا قد يكون صواباً إذا ما كنت ستبطل من حركتك في الدعوة، وتُسرع
بها في أمر من أمور الدنيا، أو أنك ستستبدل بالوقت الذي كنت تشارك به في بناء
المشروع الإسلامي أن تعمل عملاً إضافياً يدرّ عليك دخلاً مادياً جديداً يزيدك
استمتاعاً بالحياة.

.. سيكون لإخوانك الحق في عتابهم لك إذا تركتهم وجلست في بيتك تشاهد
القنوات الفضائية والنشرات الإخبارية والمباريات الرياضية تاركاً نفسك وأهل
بيتك دون اهتمام.

وسيكون لهم الحق كذلك لو انشغلت بإصلاح نفسك وبيتك وتركتهم
بمفردهم يواجهون ما يواجهونه من ضغوط.

وسيكون لهم الحق كذلك لو انشغلت بإصلاح نفسك وبيتك وتركتهم

بمفردهم يواجهون ما يواجهونه من ضغوط.

أما إذا قمت بأداء واجبك الدعوي على أكمل وجه، ثم سارعت بالعودة إلى منزلك، فجلست بين زوجتك وأولادك تلاعبهم وتعلمهم وتوجههم وتتابعهم، ثم تستأذنهم بعد ذلك بالدخول إلى غرفتك فتشغل بأورادك وصلواتك.. إن فعلت ذلك فأنت على الطريق الصحيح.

واعلم - أخي الداعية - أن الشار الطيبة التي ستظهر علينا وعلى بيوتنا، بل على الدعوة كذلك، ستكون أكبر داعية لضرورة التوازن بين الدوائر الثلاث.

الخلاصة:

أخي الداعية.. من الخطأ بمكان أن تفهم هذه الكلمات على أنها دعوة للقعود، وليعلم كل منا أنه إذا قعد في بيته بحجة إصلاح نفسه، وترك الحركة وسط المجتمع فقد عرض نفسه للتقصير، ولم لا وجميعنا يرى النار تاكل الديار، وصرخات المسلمين المضطهدين لا تنقطع ليل نهار!!

وفي المقابل، فكل من يشغل بالدعوة وينسى نفسه، فقد وقع في محذور كبير، وستلحق به أضرار جسيمة تؤثر عليه وعلى دعوته.

والأخطر من هذا وذاك، أن نجلس في بيوتنا فارغين، لا نشتغل بإصلاح أنفسنا، أو دعوة غيرنا..

فلا بديل عن التوازن بين الدوائر الثلاث.

لا استثناء لأحد



أخي الداعية:

لا عذر لنا في إهمالنا أنفسنا أو أهلينا، فمهما كانت مشاغلنا فلن نرقى بأي حال من الأحوال لمشاغل رسول الله ﷺ وحرصه على هداية الناس وتبليغهم دعوة الإسلام، ألم يقل له سبحانه وتعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦].

ومع ذلك فقد كان ﷺ حريصاً على دوام ذكر الله، وقيام الليل، لدرجة أنه لم يترك القيام في سفر أو حضر كما أخبرت بذلك السيدة عائشة رضي الله عنها (١).

وكان ﷺ - رغم مشاغله الضخمة - في خدمة أهله، يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويرقع ثوبه، ويخصف نعله، ويخدم نفسه، ويقم البيت، ويعقل البعير، ويعلف ناضحه، ويأكل مع الخادم، ويحمل بضاعته من السوق (٢).

وعن أوس بن حذيفة الثقفي أنه كان في الوفد الذين وفدوا على رسول الله ﷺ من بني مالك، فأنزلهم في قبة له في المسجد، قال: فكان يأتينا، فيحدثنا بعد العشاء وهو قائم يراوح بين قدميه من طول القيام.. فاحتبس علينا ليلة، فقلنا: يا رسول الله لبثت عنا الليلة أكثر مما كنت تلبث؟ فقال: «نعم، طرأ عليّ حزبي من القرآن فكرهت أن أخرج من المسجد حتى أقضيه» (٣).

لا استثناء لأحد:

(١) أخرجه أبو داود.

(٢) رواه البخاري عن عائشة، يقيم، يكس، ناضحه: الجمل الذي يستقى عليه بالماء.

(٣) رواه أبو داود (١٣٩٣)، وابن ماجه (١٣٤٥)، وأحمد (٣٤٣، ٩/٤)، وحسن إسناده الحافظ ابن كثير في فضائل القرآن.

من هنا يتضح لنا أنه لا استثناء لأحد في إهماله نفسه أو أهله، وكيف يكون ذلك والله عز وجل يقول لنبيه: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ [الشرح: ٧]، أي إذا فرغت من دعوة الناس فانصب للعبادة.. قال الضحاك: «فإذا فرغت» أي: من الجهاد «فانصب» أي: في العبادة^(١).

وعندما جاء التوجيه الإلهي في صدر الدعوة بقيام الليل، كان من تعليلاته ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ [المزمل: ٧]، فالذي يعين الداعية على الدعوة الصادقة والحركة الصحيحة بين الناس بالنهار ليس راحة البدن بالليل، بل القيام الطويل ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦، ٧].

ومما يؤكد هذا المعنى أن رسول الله ﷺ استحثنا على تعويض ما يفوتنا من أوراد وقيام، يقول ﷺ: «من نام عن حزبه، أو عن شيء منه، فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر، كتب الله له كأنما قرأه من الليل»^(٢).

رهبان الليل:

والناظر لسيرة خير القرون من الصحابة - رضوان الله عليهم - يجد أنهم قد وازنوا بصورة طيبة بين الجهاد في سبيل الله من ناحية والاهتمام بأنفسهم من ناحية أخرى، فكانوا كما وُصفوا: رهبانًا بالليل، فرسانًا بالنهار.

يحيون ليلهم بطاعة ربهم	بتلاوة، وتضرع، وسؤال
وعيونهم تجري بفيض دموعهم	مثل انهمال الوابل الهطال
في الليل رهبان، وعند جهادهم	لعدوهم من أشجع الأبطال
وإذا بدا علم الرهان رأيتهم	يتسابقون بصالح الأعمال

جاءت هند زوج أبي سفيان - رضي الله عنهما - زوجها صبيحة فتح مكة،

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٤٧٩.

(٢) رواه الإمام مسلم عن عمر بن الخطاب (١٧٤٢).

فقلت له: أريد أن أباع محمداً. قال أبو سفيان: قد رأيتك تكفرين. قالت: أي والله، والله ما رأيت الله تعالى عبداً حق عبادته في هذا المسجد قبل الليلة، والله إن باتوا إلا مصلين قياماً وركوعاً وسجوداً^(١).

أرأيت أخي الداعية أنه مع التعب وعناء السفر فإن ذلك لم يصرف الصحابة عن قيام الليل؟!

ويؤكد هذا المعنى الأثر الذي أخرجه الإمام أحمد في الزهد عن معاوية بن خديج قال: بعثني عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - أخبره بفتح الإسكندرية، فقدمت إلى المدينة في الظهر، فأنخت راحلتي بباب المسجد، ثم دخلت المسجد إذ خرجت جارية من منزل عمر فرأيتني شاحباً على ثياب السفر، فانصرفت، فقلت: أجب أمير المؤمنين.. فذكر الحديث، قال: يا جارية هل من طعام؟ فأتت بخبز وزيت، قال: كل. فأكلت على حياء، قال: كل، فإن المسافر يحب الطعام. ثم قال: يا جارية هل من تمر؟ فأتتني بتمر في طبق، قال: كل. فأكلت على حياء، ثم قال: ماذا قلت يا معاوية حين أتيت المسجد؟ قال: قلت إن أمير المؤمنين قائل «أي نائم وقت القيلولة».

قال: بنس ما قلت، أو بنس ما ظننت، لئن نمت النهار لأضيعن الرعية، ولئن نمت الليل لأضيعن نفسي، فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية؟!^(٢).

.. ويقول عبد الرحمن بن عبد القاري: استأذنت على عمر بالأجرة، فحبسني طويلاً، ثم أذن لي وقال: إني كنت في قضاء وردي^(٣).

(١) رهبان الليل لسيد حسين العفاني ١/ ٣١٠.

(٢) الزهد للإمام أحمد ص ١٢٢، ١٢٣، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) فضائل القرآن، لأبي عبيد ص ١٨٥ - دار ابن كثير - دمشق.

هكذا كان المصلحون



لو تأملنا في تاريخ المصلحين والمجددين على مدار تاريخ أمتنا لوجدنا أنهم - رغم جهادهم الطويل وشدة انشغالهم بدعوة الناس إلى الله ومقاومة الظالمين - لم يُؤثر عنهم إهمالهم لأنفسهم، وصدق أبو الحسن النووي - رحمه الله حين قال:

على رأس كل حركة جهاد وكفاح شخصية روحية قوية، وإن التضحية والإيثار والفداء من غير روحانية صافية مشرقة حلم لا يتحقق وغاية لا تُنال..

إن من يقود الأمم في الأوضاع العادية، والأيام الهادئة.. يوجد في كل زمن، وذلك لا يحتاج إلى شخصية عبقرية أو يقين ممتاز، وأما من يقودها في الساعات الدقيقة العصيبة من الاحتضار القومي، والإنهيار الروحي والخلقي، التي لا تبعث على الأمل والطموح، فهم أقل القليل، ولا يتجاسر على ذلك إلا من حمل في صدره هذا النوع من اليقين، وذلك على أساس الصلة بالله، والاعتماد على الله، والقوة المعنوية الروحية وكلما تغلبت على الأمة هذه الأوضاع الفاسدة، ودهمتها الليالي القاتمة، وبدا التغيير محالاً أسعفها الله برجل من هؤلاء غير تيار الحياة بعاطفته القوية الغامرة وإقدامه الطموح البعيد فكان كما قال الله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخِجِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الروم: ١٩] ^(١).

نور الدين محمود زنكي:

قال الحافظ ابن كثير عن الملك الشهيد:

«وكان مدمناً لقيام الليل، يصوم كثيراً، مجاهداً في الفرنج، صحيح الاعتقاد»

(١) ربانية لا رهبانية لأبي الحسن النووي ص ١١٦، ١١٧. مؤسسة الرسالة.

ودخل بعض المسلمين بلاد القدس للزيارة أيام أخذ القدس الفرنج فسمعهم يقولون: إن القسيم بن القسيم - يعنون نور الدين - لم يظفر وينصر- علينا بكثرة جنده وجيشه، وإنما يظفر علينا وينصر- بالدعاء وصلاة الليل، فإنه يصلي بالليل ويرفع يده إلى الله ويدعو، فإنه يستجيب له ويعطيه سؤله - فيظفر علينا^(١).

.. وكان نور الدين محافظاً على الصلوات في أوقاتها في جماعة بتمام شروطها، وكان كثير الصلاة بالليل، كثير الأبتها في الدعاء والتضرع إلى الله عز وجل في أموره كلها^(٢).

وكذلك كانت زوجته عصمت الدين خاتون تكثر قيام الليل، فنامت ذات ليلة عن وردها فأصبحت وهي غضبي، فسألها نور الدين عن أمرها فذكرت نومها الذي فوت عليها وردها، فأمر نور الدين بضرب طبلخانة في القلعة وقت السحر لتوقظ النائم ذلك الوقت لقيام الليل، وأعطى الضارب على الطبلخانة أجراً جزيلاً وجراية كثيرة^(٣).

وكان شجاعاً صبوراً في الحرب، يضرب به المثل في ذلك، وكان يقول: قد تعرضت للشهادة غير مرة فلم يتفق لي ذلك، ولو كان في خير ولي عند الله قيمة لرزقنيها، والأعمال بالنية^(٤).

وقال له يوماً قطب الدين النيسابوري: بالله يا مولانا السلطان لا تخاطر بنفسك فإنك لو قتلت قتل جميع من معك، وأخذت البلاد، وفسد المسلمون. فقال له: اسكت يا قطب الدين؛ فإن قولك إساءة أدب مع الله، ومن هو محمود؟ من كان يحفظ الدين والبلاد قبلي غير الله الذي لا إله إلا هو؟ قال: فبكى من كان حاضراً

(١) البداية والنهاية ابن كثير ٣١٤/١٢. دار الفجر - مصر.

(٢) المصدر السابق.

(٣) البداية والنهاية ٣١٠/١٢.

(٤) البداية والنهاية ٣١١/١٢.

رحمه الله (١).

صلاح الدين الأيوبي:

يقول القاضي ابن شداد عن صلاح الدين الأيوبي:

أما الصلاة فكان - رحمه الله - شديد المواظبة عليها، حتى إنه ذكر يوماً أنه من سنين ما صلى إلا جماعة، وكان يواظب على السنن الرواتب، وكان له صلوات يصليها إذا استيقظ من الليل، وإلا أتى بها قبل قيام الفجر، وكان - رحمه الله - يحب سماع القرآن العظيم، وكان خاشع القلب، غزير الدمعة، إذا سمع القرآن يخشع قلبه وتدمع عينه في معظم أوقاته (٢).

.. هذا هو صلاح الدين، الذي كان - كما نعلم - منشغلاً بالجهاد في سبيل الله، وبتحرير القدس من دنس الصليبيين.. يقول ابن شداد: كان - رحمه الله - عنده من القدس أمر عظيم لا تحمله الجبال، وهو كالوالدة الثكلي يجول بفرسه من طلب إلى طلب، ويحث الناس على الجهاد، ويطوف بين الأطلاب وينادي: يا للإسلام! وعيناه تذرفان بالدمع (٣).

وكان إذا سمع أن العدو قد دهم المسلمين، فكان يُرى ساهراً مهتماً، مغتماً، ساجداً لله داعياً في سجوده بهذا الدعاء: «إلهي قد انقطعت أسبابي الأرضية في نصره دينك، ولم يبق إلا الإخلاق إليك، والاعتصام بحبلك، والاعتماد على فضلك، أنت حسبي ونعم الوكيل».

ويقول القاضي ابن شداد: ورأيت ساجداً ودموعه تتقاطر على شيبته ثم على

(١) البداية والنهاية ١٢ / ٣١١.

(٢) رهبان الليل لسيد بن حسين العفاني ١ / ٤٣٥، ٤٣٦.

(٣) المصدر السابق ١ / ٤٣٥، ٤٣٦.

سجاداته ولا أسمع ما يقول... (١)

ابن تيمية:

يقول د. محمد السيد الوكيل في كتابه «استمرارية الدعوة»:

كان الإمام ابن تيمية مع شغله الدائب في مدارس العلم، وعمله المستمر في التربية والإعداد، وجهاده المتواصل في الذب عن حياض الإسلام، كان دائم الصلة بالله عز وجل، حتى كان إذا أغلق عليه فهم مسألة، يذهب إلى مسجد مهجور، ويضع جبهته على التراب ويقول: يا معلم إبراهيم فهمي.

وكان يقول: إنه ليقف خاطري في المسألة، فأستغفر الله تعالى - ألف مرة أو أكثر أو أقل، حتى ينشرح الصدر، وينحل الإشكال (٢).

وقد ذكر ابن عبد الهادي عن الإمام الذهبي قوله عن شيخ الإسلام: إنه دائم الابتهال، كثير الاستغاثة، قوي التوكل، ثابت الجأش، له أورد وأذكار يد منها بكيفية وجمعية (٣).

وينقل ابن القيم كلاماً لشيخ الإسلام ابن تيمية تعكس حالته الإيمانية التي كان يعيش في أجوائها رحمه الله.

يقول ابن القيم: وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة.

وقال لي مرة: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، أني رحت فهي معي لا تفارقني. إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة.

(١) المصدر السابق.

(٢) استمرارية الدعوة د. محمد السيد الوكيل ص ٧٢.

(٣) المصدر السابق نقلاً عن العقود الدرية.

.. وحضرته مرة وقد صلى الفجر ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من منتصف النهار، ثم التفت إلى وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتغذ الغذاء سقطت قوتي...^(١).

وكان يقول في محبسه في القلعة: لو بذلت ملء هذه القلعة ذهباً ما عدل عندي شكر هذه النعمة، أو قال: ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير، ونحو هذا. وكان يقول في سجوده وهو محبوس: «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» ما شاء الله.

وقال لي مرة: المحبوس من حُبس قلبه عن ربه تعالى، والمأسور من أسره هواه. ولما دخل القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال: ﴿فَضْرَبَ بَيْنَهُمْ يَسُورَ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣].

وعلم الله ما رأيت أحداً أطيب عيشاً منه قط مع ما كان فيه من ضيق العين وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشاً وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبًا، وأسرهم نفسًا، تلوح نضرة النعيم على وجهه.

وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضائق بنا الأرض أتينا، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله وينقلب انشراحًا وقوة ويقينًا وطمأنينة. فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها^(٢).

محمد الفاتح.. فاتح القسطنطينية:

كان محمد الفاتح رحمه الله: (صوامًا قوامًا يجد الأنس والسكينة في طاعة الله،

(١) الوابل الصيب لابن القيم ٣٩٥٥، ٤٠ - مكتبة الدعوة الإسلامية شباب الأزهر.

(٢) الوابل الصيب ص ٤٤، ٤٥.

كلما حزبه أمر واشتد به عنت، وكان يقدم بين يدي كل معركة يخوضها بالإكثار من الطاعات صياماً وقياماً ودعاءً ومناجاةً^(١).

محمد إقبال:

يقول أبو حسن الندوي عن شاعر الإسلام المصلح محمد إقبال:

كان يتعرض للنفحات السَّحرية، ويقوم في آخر الليل، فيناجي ربه، ويشكو بثه وحزنه إليه، ويتزود بنشاط روحي جديد، وإشراق قلبي جديد.

.. كان عظيم التقدير لهذه الساعات اللطيفة، التي يقضيها في السَّحر، ويعتقد أنها رأس ماله ورأس مال كل عالم، ومفكر.

يقول في بيت: .. كن مع من شئت في العلم والحكمة، ولكنك لا ترجع بطائل، حتى تكون لك أَنَّةٌ في السَّحر.

ويقول في موضع آخر: خذ مني ما شئت يارب! ولكن لا تسلبني اللذة بأذنة السَّحر ولا تحرمني نعيمها^(٢).

ومن أقواله رحمه الله: إن السجدة التي كانت تهتز لها روح الأرض، لقد طال عهد المحراب بها، واشتاق إليها المسجد، كما تشتاق الأرض الجديدة الخاشعة إلى المطر^(٣).

حسن البنا:

أما الإمام حسن البنا - رحمه الله - فعلى رغم جهده الضخم في الحركة وسط الناس، ومع سفره المتواصل لتبليغ الدعوة إلى مئات القرى والنجوع، ومع انشغاله الشديد بهوم أمته، فإن هذا كله لم يكن على حساب اهتمامه بنفسه وما يصلحها.

(١) رهبان الليل لسيد العفاني ١/ ٤٣٨، ٤٣٩. نقلاً عن كتاب السلطان الفاتح محمد الفاتح لزياد أو غنيمة ص ١٩٣.

(٢) روائع إقبال لأبي الحسن النووي ٤٥، ٤٦ - دار القلم - دمشق.

(٣) المصدر السابق ص ١٠١.

يقول عمر الأميري: لقد راقبته أدق المراقبة، حتى إنني كنت أتابعه من شقوق الباب وهو يصلي في غرفته خاليًا قبل النوم، وكنت أفحص خشوعه فأراه أطول سجودًا وأكثر إقبالاً على الله منه وهو يصلي بنا^(١).

ويحكي الأستاذ عمر التملساني عن موقف صحبه فيه إلى المنزل^(٢) بعد كثرة الإجهاد من السفر، والجلوس مع الإخوان، ومتابعة أنشطتهم، حدث ما يلي:

وبعد الحفل صعدنا إلى الطابق الثاني في منزل لناخذ قسطاً من الراحة، ودخلت معه إلى حجرة بها سريران فدخل سريره، وأرخى ناموسيته، وفعلت مثلما فعل على السرير الآخر، وكانا التعب والإجهاد قد بلغ مني مداه، فاعتراني قلق، وبعد خمس دقائق تقريباً سألني فضيلته، هل نمت يا عمر؟ قلت: ليس بعد، ثم كرر السؤال بعد فترة ثم بعد فترة، حتى ضقت بالأمر، وقلت في نفسي: ألا يكفيني ما أنا فيه من إجهاد وقلق حتى تضاعف على المتاعب!! ألا تدعني أنام؟ كان هذا حديثاً صامتاً يدور بيني وبين نفسي فصممت على ألا أرد على أسئلته موهماً إياه أنني نمت، فلما اطمأن إلى نومي نزل من سريره في هدوء كامل، وعند الباب أخذ «القباب» بيده وسار حافياً حتى وصل إلى دورة المياه، حيث توضأ وأخذ سجادة صغيرة، وذهب إلى آخر الصالة بعيداً عن الغرفة التي ننام فيها.. وأخذ يصلي ما شاء الله له أن يصلي، ونمت أنا ما شاء الله لي أن أنام^(٣).



(١) أوراق من تاريخ الإخوان - ظروف النشأة (٢٠٧) لجمعة أمين.

(٢) بلدة في شمال مصر.

(٣) المصدر السابق.



الفصل الرابع

من أين نبـدا؟!

لـ ضرورة اليقظة والانتباه
لـ إذكاء الشعور بالخطر تجاه أنفسنا
لـ إذكاء الشعور بالخطر تجاه أمتنا



من أين نبدأ؟!



نحن الآن أمام مشكلة حقيقية لها العديد من الآثار السلبية على الفرد، وعلى الأمة، ألا وهي : «إهمال الكثير منا نفسه» سواء كان ذلك بسبب الانشغال المعيشي- أو الدعوي أو غير ذلك من الأسباب السابق ذكرها.

فماذا نفعل لحل هذه المشكلة؟!

من أين نبدأ؟!

إن أي تصور مقترح للحل سيبقى في الإطار النظري ما لم تستيقظ داخل الفرد وبصورة دائمة مشاعر الرهبة والخطر من استمرار إهماله نفسه، فبدون الاستيقاظ الحقيقي لهذه المشاعر سيظل حاله كما هو: يقرأ ويستمع إلى النصائح فلا يكثرث بها، ولا يتفاعل معها، وإن حدث ذلك؛ فتفاعل لحظي سرعان ما يزول أثره بعد مدة قصيرة..

اليقظة هي البداية:

إن نقطة البداية الحقيقية لحل هذه المشكلة هي إيقاظ الفرد من داخله إيقاظاً حقيقياً؛ لتكون هذه اليقظة بمثابة الوقود الذي يولد فيه باستمرار الدافع الذاتي للقيام بواجباته المختلفة تجاه نفسه وأهله والدعوة.

ومن أهم الوسائل التي يمكنها - بعون الله وفضله - أن تفعل ذلك هي:

إذاكاء شعور الفرد بالخطر تجاه إهماله لنفسه حتى يصل به هذا الشعور لمرحلة اليقظة.

فكلما ازداد شعور المرء بالخطر تجاه أمر ما يهدد مصالحه، إزداد تشميره له، وسعيه نحوه، فلو أن حريقاً قد شبَّ ليلاً في منطقة صناعية وتم إيقاظ أصحاب المصانع من نومهم لإبلاغهم به، هل تتوقع أن يعودوا إلى نومهم ليذهبوا إلى مصانعهم في الصباح لتفقدوها أم أنهم سيسارعون بالذهاب إليها والعمل على

تأمينها قدر المستطاع؟!

بلا شك أنهم جميعاً سينتفضون من فراشهم ويسارعون بالذهاب إليها، ولن يهدأ لهم بال حتى يطمئنوا عليها، ولقد أكد هذا المعنى قوله ﷺ: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة»^(١).

وأدلج أي سار بالليل، فالحديث يؤكد على المعنى المذكور في المثال السابق، وينبهنا إلى أن أهم سلعة ينبغي الإدلاج لها والتشمير نحوها هي الجنة. وسائل إذكاء الشعور بالخطر:

لعل من أهم وسائل إذكاء الشعور بالخطر تجاه مصيرنا ومصلحتنا وحياتنا الحقيقية في الآخرة هي: الإكثار من ذكر الموت.

فالتذكر الدائم للموت – وبخاصة في البداية – يستثير في ذات المرء مشاعر الرهبة من الحساب والتقصير، ومن ثم يدفعه لمراجعة أموره كلها.

ومع التذكر الفعال للموت يأتي كذلك التعرف على أحوال المسلمين السيئة ومخططات أعدائهم الشرسة والمتوالية لطمس هويتهم والقضاء عليهم؛ كوسيلة مؤثرة تساهم إلى حد كبير في استمرار اليقظة، والاجتهاد في القيام بحقوق الدعوة مع الأهل ومع المجتمع.

وإليك أخي القارئ بعض التفصيل حول هاتين الوسيلتين ألا وهما:

* الإكثار من ذكر الموت.

* التعرف على أحوال المسلمين ومخططات أعدائهم.

كثرة ذكر الموت

(١) صحيح الجامع الصغير (٦٢٢٢).



من أهم أسباب عدم اهتمامنا بأنفسنا هي الغفلة ونسيان أننا معرضون في أي لحظة لملاقاة ملك الموت، وأنه بالموت ستنتهي حياتنا، وتنتهي معها الفرصة المتاحة لنا لتعمير آخرتنا.

ولو انتبه الواحد منا لهذا الأمر وأصبح في باله وفكره بصورة دائمة فسيعمل على تصحيح مساره وضبط أموره، والسعي الحثيث للأخذ بالأسباب التي تعرضه لعفو الله ورضوانه ودخول جنته.

لذلك فإن من أهم أسباب علاج قسوة القلب واستنهاض الهم للعمل هي كثرة ذكر الموت.

ذكر ابن أبي الدنيا بإسناده عن منصور بن عبد الرحمن، عن صفية: أن امرأة أتت عائشة لتشكو إليها القسوة فقالت: أكثرني ذكر الموت يرق قلبك وتقدرين على حاجتك، قالت: ففعلت، فأنست من قلبها رشداً، فجاءت تشكر لعائشة رضي الله عنها^(١).

وأنقل إليك أخي القارئ بعض الفقرات التي تبين لنا بإذن الله كيف نستفيد من هذه الوسيلة^(٢).

أهمية تذكر الموت:

من أهم أسباب الأمن الذي يلازمنا هو استشعارنا بأن يوم القيامة بعيد عنا، وأن العمر ما زال فيه بقية، فالكل ينظر إلى من هو أكبر منه سناً، ويمنى نفسه بالاستمرار في الحياة حتى يبلغ ما بلغ.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يهرم ابن آدم، وتشب منه اثنتان: الحرص

(١) مجموعة رسائل ابن رجب - رسالة ذم قسوة القلب ١ / ٢٦٥ - مطبعة الفاروق الحديثة القاهرة.

(٢) وذلك من كتاب «الإيمان أولاً فكيف نبدأ به؟».

عل المال، والحرص على العمر»^(١).

لذلك فإن بداية الخروج من هذه الحالة يستلزم استشعار النفس أنها في خطر من شيء محتمل وقوعه في أي لحظة.. هذا الشيء هو الموت، قال ﷺ: «أكثرُوا ذكر هادم اللذات: الموت فإنه لم يذكره أحد في ضيق من العيش إلا وسعه عليه، ولا ذكره في سعة إلا ضيقها عليه»^(٢).

فالموت يهدم اللذات؛ لأنه (ينغصها بذكره حتى ينقطع ركون العبد إليها فيُقبل على الله تعالى)^(٣).

ويقول د. عمر الأشقر:

إن لتذكر الموت أثراً كبيراً في إصلاح النفوس وتهذيبها؛ ذلك أن النفوس تؤثر الدنيا وملذاتها، وتطمع في البقاء المديد في هذه الحياة، وقد تهفو إلى الذنوب والمعاصي، وقد تقصر في الطاعات، فإذا كان الموت دائماً على بال العبد؛ فإنه يصغر الدنيا في عينيه، ويجعله يسعى في إصلاح نفسه، وتقويم المعوج من أمره^(٤).

وينقل القرطبي في كتابه «التذكرة» قول الدقاق:

من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة، ومن نسى الموت عوجل بثلاثة: تسويف التوبة، وترك الرضا بالكفاف، والتكاسل في العبادة^(٥).

الوسائل العملية لدوام تذكر الموت:

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠٩).

(٢) حسن، رواه البيهقي في الشعب، وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٢١١).

(٣) إحياء علوم الدين ٥ / ٤٤.

(٤) القيامة الصغرى لعمر الأشقر ص ٨١.

(٥) التذكرة للقرطبي ١ / ٢٧ دار البخاري.

نحتاج في البداية إلى القيام بعدة وسائل متتابعة تُذكر بالموت حتى نصل - بعون الله ومشيتته - إلى مرحلة اليقظة والانتباه، ومن هذه الوسائل:

أولاً: زيارة القبور:

فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها، فإنها ترق القلب، وتدمع العين، وتذكر الآخرة..»^(١).

فليس للقلوب أنفع من زيارة القبور، وخاصة إن كانت قاسية^(٢)، ومن الأفضل زيارة قبور أناس نعرفهم فهذا أدعى للتأثر (فيتذكر الزائر موتهم، ومصارعهم تحت التراب، ويتذكر صورهم في مناصبهم وأحوالهم، ويتأمل كيف محّا التراب الآن حُسن صورهم، وكيف تبددت أجزاؤهم في قبورهم، وكيف أرمّلوا نساءهم، وأيتّموا أولادهم، وضيعوا أموالهم، وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم، وانقطعت آثارهم..) فمهما تذكر رجل رجلاً، وفصل في قلبه حاله وكيفية موته، وتوهم صورته، وتذكر نشاطه وتردده، وتأمله للعيش والبقاء، ونسيانه للموت، وانخداعه بمواتاة الأسباب، وركونه إلى القوة والشباب، وميله إلى الضحك واللّهو، وغفلته عما بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع، وأنه كيف كان يتردد، والآن قد تهدمت رجلاه ومفاصله، وأنه كيف كان ينطق وقد أكل الدود لسانه، وكيف كان يضحك وقد أكل التراب أسنانه، وكيف كان يدبر لنفسه مالا يحتاج إليه إلى عشر- سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت إلا شهر، وهو غافل عما يراد به حتى جاءه الموت في وقت لم يحتسبه فانكشف له صورة الملك، وقرع سمعه النداء، إما بالجنة وإما بالنار، فعند ذلك ينظر في نفسه أنه مثلهم، وغفلته كغفلتهم، وستكون عاقبته كعاقبتهم^(٣).

(١) صحيح الجامع الصغير (٤٥٨٤).

(٢) التذكرة ١ / ٣٢.

(٣) إحياء علوم الدين ٥ / ٤٧، ٤٨.

ثانيًا: تغسيل الموتى واتباع الجنائز:

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «زر القبور تذكر بها الآخرة، واغسل الموتى فإن معالجة جسد خاوٍ موعظة بليغة، وصل على الجنائز، لعل ذلك يحزنك؛ فإن الحزين في ظل الله يوم القيامة»^(١).

فلنتحین الفرصة لتغسيل الموتى، والصلاة عليهم وحملهم إلى قبورهم وتلحيدهم فيها، وحثو التراب عليهم، فإن تكرار هذا من شأنه أن يجعل المرء على ذكر دائم للموت.

ثالثًا: تَوْهُم لقاء الموت:

وذلك بأن نجعل لنا كل بضعة أيام وقتًا نخلو فيه بأنفسنا فنجلس في مكان هادئ بعيدًا عن الضوضاء، نتخيل فيه أن ملك الموت قد حضر- لنزع الروح، ونتخيل كذلك أثر وقع هذا الخبر على الزوجة والأولاد، والأهل والأصدقاء، وكيف سيكون رد فعلهم تجاه ذلك، ونتخيل المغسل وهو يغسل الرأس والأطراف، والجسم كله، ونحن مستسلمون ليديه حتى إذا ما انتهى من عمله حملنا الأهل والأصدقاء، فصلوا علينا، وسارعوا بنا إلى المقابر فألحدونا ثم حثوا التراب علينا، وانصرو فوا.. ونتخيل كذلك مجيء الملكين - منكر ونكير - في صورتها الشديدة وكيف سيكون جوابنا على أسئلتها؟

يقول القرطبي: مثل نفسك يا مغرور وقد حلت بك السكرات والأنين والغمرات، فمن قائل يقول: إن (فلان) قد أوصى، وإن (فلان) قد أحصى، ومن قائل يقول: إن (فلان) ثقل لسانه، فلا يعرف جيرانه ولا يكلم إخوانه، فكأنني أنظر إليك تسمع الخطاب، ولا تقدر على رد الجواب، ثم تبكي ابتك وهي كالأسيرة، وتتضرع وتقول: حبيبي أبي من ليّتمى من بعدك؟ ومن لحاجتي؟ وأنت والله تسمع

(١) رواه الحاكم في المستدرک وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

الكلام ولا تقدر على رد الجواب، فخيل لنفسك يا ابن آدم، إذا أخذت من فراشك إلى لوح مغسلك، فغسلك الغاسل وألبست الأكفان، وأوحش منك الأهل والجيران، وبكت عليك الأصحاب والإخوان، وقال الغاسل: أين زوجة فلان تحالُّه؟ وأين اليتامى ترككم أبوكم فما ترونه بعد هذا اليوم أبداً؟^(١)

رابعاً: الاستعداد العملي لاستقبال الموت:

قال بعض الحكماء: الموت يستأذن على العاقل ويفتح الباب على الغافل، بمعنى أن الشخص الذي يستعد للموت ويحسن ترتيب أمور أهله من بعده فإنه لن يفاجئه الموت، وكيف لا وهو في انتظاره كل يوم، عكس الغافل الذي لا يفكر فيه، ومن ثم لم يرتب أموره من بعده، فإنه يتفاجأ بقدومه مفاجأة ضخمة ومفزعة ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠].

والاستعداد العملي لاستقبال الموت يكون في عدة أمور، منها:

أ- كتابة الوصية ودوام مطالعتها وتجديدها بالإضافة أو الحذف

كتابة الوصية من الوسائل الفعالة التي من شأنها إشعار كاتبها بأن الموت قريب، وأن الأمر جد لا هزل فيه.

وليس المقصد من كتابة الوصية هو كتابة بيان بالأموال التي يمتلكها المرء، أو الديون المستحقة عليه، أو الأمانات المودعة عنده وفقط؛ بل المقصد بالإضافة إلى هذه الأمور هو كتابة وصايا للزوجة والأولاد والأهل تتضمن ما استفاده المرء من الحياة، وكيفية التعامل مع مفرداتها ومتقلباتها في الإطار الذي يرضي الله ﷻ ..

ومن المناسب أن نرجع إلى الوصية بين الحين والحين فنعيد قراءتها، ونضيف عليها ما نراه مناسباً.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده»^(١)، قال: ابن عمر: ما مرت على ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ إلا وعند وصيتي!

ب- المسارعة إلى تسديد الديون ورد الأمانات.

ج- المساهمة في إنشاء صدقة جارية يعود نفعها على صاحبها بعد الموت، ولا ينبغي علينا ربط هذا الأمر لما بعد الموت ليقوم الأهل بتنفيذه، فنحن لا ندري ماذا سيكون الحال بعد موتنا، فإن جمعت بين الصدقتين فبها ونعمت أي تساهم في إنشاء صدقة جارية، وتوصي بذلك أيضاً.

د- شراء الكفن ومشاهدته بين الحين والحين، إبلاغ المقربين برغباتك فيمن تريده يغسلك، ومن تريده يصلي عليك و...

كان رجل من السلف يزور حبيب بن أبي محمد الفارسي فوجده يقول لامرأته: إن مت اليوم فأرسلني إلى فلان يغسلني، وافعلي كذا وكذا، فسألها الرجل: أراى رؤيا؟ قالت: هذا يقوله كل يوم.

خامساً: تذكر ساعة المرض، ومشاهدة المرض:

من النادر أن تجد إنساناً لم يمرض في حياته قط، فلو تذكر كل منا أحواله ساعة مرضه من حيث تغير طعم الحياة، وفطور المهمة، وضعف العزيمة والتثاقل عن أداء الطاعات والواجبات، وعدم القدرة على القيام بأمر كثيرة كان يؤديها بسهولة ويسر وقت صحته وعافيته، ثم يتذكر ساعة الاحتضار، وهي أشد وأشد من ساعة المرض، ويتذكر أنه كما جاءه المرض بلا مقدمات فستأتيه ساعة الاحتضار كذلك.. وكما أنه كان يحلم في مرضه بالساعة التي يسترد فيها عافيته ليتدارك ما فاتته؛ فإنه سيتمنى ساعة الاحتضار العودة للعالم للجهاد في أعمال الآخرة.

(١) متفق عليه، وهذا لفظ البخاري.

ومع تذكره - بين الحين والحين - لساعة مرضه، عليه أن يداوم على زيارة المرضى، وأصحاب الحالات الحرجة في المستشفيات، فهذه الزيارات من شأنها أن تنغص على المرء حياته، وتريه الدنيا على حقيقتها.

سادساً: الاستماع إلى المواعظ والقراءة في كتب الرقائق.
يقول ابن رجب: المواعظ سيأط تضر بها القلوب، فتؤثر فيها كتأثير السوط على البدن..

كان الحسن إذا خرج إلى الناس كأنه رجل عاين الآخرة ثم جاء يخبر عنها، وكانوا إذا خرجوا من عنده خرجوا وهم لا يعدون الدنيا شيئاً^(١).

فالموعظة لها تأثير عظيم على القلب، فعن العرباص بن سارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون ومع الحرص على الاستماع إلى المواعظ المؤثرة علينا القراءة في كتب الرقائق مثل: إثبات عذاب القبر للبيهقي، التوهم للمحاسبي، التذكرة للقرطبي، الزهد لأحمد بن حنبل، الرقة والبكاء لابن قدامة، بحر الدموع لابن الجوزي، الداء الدواء لابن القيم..

إلى متى نأخذ بهذه الوسائل؟!

قد يقول قائل: إن الأخذ بهذه الوسائل وغيرها من شأنها أن يجعل هممتنا تفر نحو السعي في الدنيا، وتحصيل أسباب العيش فيها.

إن الحديث في هذه الصفحات يتناول كيفية الخروج من حالة الغفلة إلى اليقظة حتى نتبه لأنفسنا ونتوازن في توزيع جهدنا وحركتنا، وهذه الوسائل تهدف إلى تحقيق تلك اليقظة، ولكن يتحقق هذا الهدف لا بد من تكثيف الوسائل حتى يتفاعل أثرها وتظهر نتيجتها الطيبة بإذن الله.

فإذا ما حدثت اليقظة فإننا بعون الله لن نحتاج إلى استخدام تلك الوسائل بهذه

(١) لطائف المعارف لابن رجب ص ١٩، ٢٠.

الكثافة، بل علينا أن نأخذ منها بالقدر الذي يجعلنا دومًا منتبهين متيقظين لحقيقة وجودنا على الأرض.

ومما تجدر الإشارة إليه أن التذكر الدائم للموت سيجعلنا بإذن الله نتحرك في الدنيا التحرك الصحيح الذي يرضي الله ﷻ.

ولقد كان ﷺ دائم التذكير لأصحابه بالموت حتى لا يغيب ذكره عن مخيلتهم، فعن قبيصة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلث الليل قام فقال: «يا أيها الناس، اذكروا الله، جاءت الراجفة، من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه»^(١).

فلا بد من التركيز على هذه الوسائل في البداية، وبصورة متواصلة، ولمدة معتبرة، حتى يتحقق مقصودها، وبهد ذلك ينتقي طرف منها لتستمر اليقظة ويقوى أثرها.

يقول ابن القيم: يشتد افتقار العبد إلى العظة وهي الترغيب والترهيب إذا ضعفت إنابته وتذكره، وإلا فمتى قويت إنابته وتذكره لم تشتد حاجته إلى التذكير والترغيب والترهيب، ولكن تكون الحاجة منه شديدة إلى معرفة الأمر والنهي، فالمنيب المتذكر شديد الحاجة إلى الأمر والنهي، والمعترض الغافل شديد الحاجة إلى الترغيب والترهيب^(٢).

التعرف على أحوال المسلمين ومخططات أعدائهم

مما لا شك فيه أن لذكر الموت أثرًا فعالاً في استنهاض الهم وإيقاظ القلوب من

(١) حسن، رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٥٤).

(٢) تهذيب مدارج السالكين ص: ٢٣٩، ٢٤٠.

غفلتها، ولكن من الضروري ألا تكون هذه اليقظة في اتجاه إصلاح أنفسنا فقط، دون الاهتمام بأحوال المسلمين، فكما أسلفنا فإن للمسلم ثلاث دوائر ينبغي أن يوزع جهده بينها (نفسه - أهله - مجتمعة)، من هنا ظهرت الحاجة لاستنهاض الهم نحو الحركة وبذل الجهد في الدعوة إلى الله حتى يحدث بعون الله التوازن المطلوب بين تلك الدوائر، لا سيما أن البعض بعد أن يذوق حلاوة اليقظة القلبية تجده يبحث نفسه عن مبررات تقعه عن العمل في حقل الدعوة.

ومن أهم الوسائل التي تستنهض الهم نحو الدعوة إلى الله: التعرف على أحوال المسلمين البيئية في شتى المجالات والتعرف كذلك على مخططات أعدائهم في محاربة دينهم وطمس هويتهم.

فهذه المعرفة من شأنها إذكاء الشعور بالخطر في نفوسنا تجاه ما يحدث للأمة؛ ليكون ذلك دافعاً لبذل المزيد من الجهد في التصدي لهذه المخططات، وإيقاظ المسلمين الغافلين والأخذ بأيديهم نحو تغيير أنفسهم والحفاظ على هويتهم، وإقامة دينهم بشموليته في أراضيتهم.

ومن المناسب أن يتم الأخذ بهذه الوسيلة بعد ظهور بوادر اليقظة التي سيحدثها - بإذن الله - الإكثار من ذكر الموت؛ لأن البدء بها في حالة وجود الغفلة القلبية لن يأتي بالثمار المرجوة.

وفي هذه الأسطر سيتم - بعون الله - الحديث باختصار شديد عن مخططات أعدائنا لإطفاء نور الإسلام.. هذه المخططات بعضها قديم لا يزال يجري العمل بأكثره حتى الآن، وبعضها حديث ليواكب المستجدات التي حدثت على الساحة الإسلامية ومن أهمها تلك الصحوة الدينية التي عمت بفضل الله أرجاء العالم الإسلامي.

مخططات القرنين الماضيين:

أما بخصوص المخططات القديمة والتي يجري العمل بها على قدم وساق منذ القرن التاسع عشر الميلادي وحتى الآن^(١)، فلقد تحدث الكثير من المفكرين عنها، ومن أبرز الكتب التي أنصح نفسي- وأنصحك - أخي القاريء - بقراءتها جيداً: كتاب «رسالة في الطريق إلى ثقافتنا» لمحمود محمد شاكر - رحمه الله - فهذا الكتاب يضع أيدينا - بإذن الله - على الأمر من بدايته، وكيف انتفضت أوروبا بعد هزيمتها في الحروب الصليبية، ودخول المسلمين القسطنطينية - لتحارب الإسلام من جذوره وكيف انكفأ علماءهم سنوات طوال لدراسة الإسلام وما استلزم ذلك من إرسال أعداد كبيرة ممن تعلموا العربية إلى أرض الإسلام للتغريب عن مكامن القوة فيه، والحصول على أكبر قدر من الكتب في شتى فروع العلم، وإرسالها إلى المستشرقين علماءهم في أوروبا لدراستها، والاستفادة منها، والتعرف من خلالها ومن خلال تقارير المستشرقين، على أسرار التفوق الإسلامي، ومن ثم وضع الخطط المناسبة للقضاء على مصادر قوته وتفوقه، وبدأ تنفيذ هذه المخططات بقوة في أواخر القرن الثامن عشر وبدايته القرن التاسع عشر الميلادي، ونجحت تلك المخططات نجاحاً عظيماً في بلوغ الكثير من أهدافها، ولقد تسربت بمرور الوقت الخطوط العريضة لتلك المخططات، وأكد صحتها الواقع، وتحدث عن بعضها العديد من العلماء^(٢)، وأنقل إليك أخي القارئ كلمات مختصرة عنها من كتاب «المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام» لمحمد محمود الصواف، يقول رحمه الله: فكر أعداؤنا في سر نهضتنا، وأسباب انطلاقتنا، وقواعد وحدتنا واجتماعنا، وأسرار بطولاتنا وتضحياتنا، وأجمعوا على أن سر نهضتنا إنما يكمن وراء ديننا، وأن الإسلام هو

(١) من الواضح أنه قديم إعدادها قبل القرن التاسع عشر الميلادي، ولكن تم العمل بها بقوة منذ بدايته.

(٢) منها: «أساليب الغزو الفكري» لعلي جريشة وشريف زئبق «واقعا المعاصر» لمحمد قطب «الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام» لعبد الستار فتح الله سعيد «المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام» لمحمد محمود الصواف، «الغارة على الإسلام» لشاتيله وتعريب محي الدين الخطيب.

مبعث وحدتنا وقوتنا وانطلاقنا في الحياة، ثم أجمعوا أمرهم ودبروا كيدهم وقالوا: تعالوا نهدم بيئاتهم بهدم إسلامهم فنحاربهم في نفوسهم، ونضعفه في قلوبهم، وننفرهم منه، ونبعدهم عنه، ونشغلهم بمباديء أخرى، ونفرق كلمتهم، ونشتت شملهم، ونرجمهم كما كانوا قبل الإسلام أممًا وشعوبًا، وقبائل وعشائر.

.. أجمعوا أمرهم على هذا وتآمروا على الإسلام ثم انطلقوا يضعون المخططات ويرسمون الخطط لتنفيذ ما اتفقوا عليه، ومن ذلك:

.. فتح المدارس الأجنبية في ديار المسلمين وتكثيرها وتنويعها، وإرسال القسس والرهبان ليشرفوا على هذه المدارس ويربوا أجيال المسلمين على أعينهم.

.. ومنها: إرسال أكبر قدر ممكن من شباب المسلمين وأبنائهم إلى ديار الغرب لينهلوا من ثقافته المسمومة هناك ويعودوا إلى ديارهم وقد ودّعوا هناك دينهم وخلقتهم ومبادئهم.

.. ومنها: نشر الكتب المفسدة العابثة المضللة التي تشغل الشباب عن ثقافتهم الأصيلة وتلهيهم بالعبث والخيال الما جن الذي سيجرهم إلى المجون..

.. ومن هذه المخططات: السيطرة قدر المستطاع على برامج التعليم في الديار الإسلامية، وتوجيه التعليم توجيهًا علمانيًا.

.. ومنها: نشر المجلات الخليعة والسينمات المسمومة، والتلفزيون...

بما يثير غرائز الشباب، ويشغلهم بالتفكير في إشباع غرائزهم عن التفكير في مصالح أمتهم ومستقبل دينهم وعقيدتهم، وحرية أوطانهم وأمتهم.

.. ومنها: العمل المتواصل لإفساد شبابنا ورجالنا بزجاجة الخمر، وفتاة الهوى، والصور الخليعة، والقصة الماجنة، وإرسال القينات والفاتنات أفواجًا أفواجًا إلى ديار المسلمين ليفسدن باسم الفن، ويهدمن باسم الحرية، ويخربن باسم الترفيه.

.. ومنها: فتح نوافذ للحضارة الغربية والثقافة الغربية وتمجيدها، والدعاية لها.

لينظر منها شباب الإسلام فيفتن بمباهجها، وتأخذ مظاهرها الخلابه الكاذبة، فيبدأ يأخذ بثقافتها ويعجب بحضارتها ويحتقر بعد ذلك أمته وبلاده لسوء حاضرها المائل أمام عينيه..

.. ومنها: السيطرة الاقتصادية والتحكم في الأسواق، وامتصاص أكبر قدر ممكن من ثروة البلاد الإسلامية، وإشاعة الفقر والبطالة بين المسلمين فينشغلوا بديانهم لمعالجة عوزهم، وسد حاجاتهم، ويحتاجوا إلى الغرب يستجدونه ويستقرضون منه ويسترضونه.

.. ومنها: تمجيد وإحياء الحضارات القديمة كالحضارة الآشورية والفرعونية، وتسليط الضوء عليها لينبهر بها الشباب المسلم، وينسى حضارته الإسلامية الأصيلة وقد طمسوا عنه أخبارها، وشوهوا له حقائقها، وفتحوا عينيه على حضارتهم وأمجادهم ومدنيتهم الحاضرة.

. ومنها: العمل على إلغاء المحاكم الشرعية في ديار المسلمين والسيطرة على أوقاف المسلمين، ونشر القوانين الوضعية ودراستها حتى أنشئت كليات للحقوق في أكثر البلاد الإسلامية تُدرّس القانون الروماني والقانون الفرنسي- وغيرهما من القوانين الأجنبية ولا تدرس الشريعة الإسلامية إلا في زوايا من زواياها وهي في الأحوال الشخصية فقط، أما حقائق الشريعة الإسلامية وتشريعاتها المختلفة فلا نعلم عنها شيئاً، ونجهل حتى أبسط مبادئها وأحكامها.

.. ومنها: إضعاف سلطان الإسلام في نفوس المسلمين من خلال السخرية بعلماء الدين وتصويرهم بصورة الجهلاء الجامدين تارة، والمنافقين المستغلين لسلطان وظائفهم ونفوذهم تارة أخرى، وبث الإشاعات ونشر الاتهامات المختلفة

حولهم لتقليص نفوذهم وسيطرتهم على نفوس المسلمين.

.. ومنها: تشويه حقائق الإسلام، ووضع الإسلام في قفص الاتهام، والتركيز على القرآن الكريم وتوجيه الهجوم عليه.

.. ومنها: تشويه التاريخ الإسلامي والتشكيك في حوادثه، وإبراز الجوانب الضعيفة أو المؤسفة فيه.

.. ومن هذه المخططات: إنشاء المذاهب والمباني الهدامة كالماسونية والبهائية والقاديانية وغيرها، وإشغال المسلمين بها، وإخراجهم عن دينهم بواسطتها.

.. ومنها: العمل على إلغاء الخلافة الإسلامية وتفريق كلمة المسلمين وجعلهم أمماً وشعوباً مختلفة بعد أن كانوا تحت لواء الخلافة أمة واحدة.

.. ومنها: العمل على إفساد المرأة المسلمة ثم إخراجها باسم الثقافة والحرية سافرة متبرجة وجعلها أحبولة الفساد في المجتمعات الإسلامية، ومن ثم تعطيل الأسرة وهدم كيان المجتمع الإسلامي.

.. ومنها: اتفاق الاستعمار والصهيونية العالمية على مكافحة الإسلام ووضع قدم للاستعمار في فلسطين قلب البلاد الإسلامية بواسطة اليهود، وباسم العطف على قضاياهم وشعبهم المنكوب، وتحويل قضية فلسطين من قضية إسلامية مقدسة إلى قضية قومية لا إرتباط لها بالإسلام^(١).

الواقع خير دليل:

وكما ترى أخي القارئ فإن الواقع الذي تحياه شعوب أمتنا الإسلامية خير دليل على صحة هذه المخططات، ولعله قد حدث لك مثل ما حدث لي عند قراءة كل

(١) المخططات الإستعمارية لمكافحة الإسلام لمحمد محمود الصواف ١٧ - ٢١ باختصار - دار الاعتصام - القاهرة.

فقرة من الفقرات السابقة؛ أن تراءت في مخيلتك صور ذهنية عديدة من واقعنا تؤكد صحتها.

خطبة زويمر:

وقبل أن نتقل - أخي القاريء - إلى الحديث عن المخططات الحديثة للحرب على الإسلام أنقل إليك مقتطفات من خطبة الأب زويمر وهو يتحدث إلى كبار المنصرين في مؤتمرهم بالقدس الذي عقد عام ١٩٣٥ ميلادية، وسجلها الشيخ الصوان - رحمه الله - في كتاب «المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام».. يقول زويمر:

إنني أقركم على أن الذين دخلوا من المسلمين في حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين لقد كانوا كما قلتهم أحد بثلاثة.. إما صغير لم يكن له من أهله من يُعرِّفه ما هو الإسلام، أو رجل مُستخفُّ بالأديان لا يبغى غير الحصول على قوته وقد اشتد به الفقر وعزت عليه لقمة العيش، وآخر يبغى الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية ولكن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية؛ ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية، فإن في هذا هداية لهم وتكريماً، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي فلا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية وهذا ما قمتم به في خلال الأعوام المائة السالفة خير قيام، وهذا ما أهنئكم عليه..

لقد قبضنا أيها الإخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر - إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية... والفضل إليكم وحدكم أيها الزملاء أنكم أعددتكم بوسائلكم جميع العقول في الممالك الإسلامية إلى قبول السير في الطريق الذي مهدتم له كل التمهيد. إنكم أعددتكم شاباً في ديار المسلمين لا

يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراده له الاستعمار: لا يهتم للعظماء ويحب الراحة والكسل، ولا يصرف همه في دنياه إلا في الشهوات، فإذا تعلم للشهوات، وإذا جمع المال للشهوات، وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود بكل شيء...^(١)

الحرب الجديدة على الإسلام

سارت تلك المخططات ولا تزال تسير على قدم وساق، وفعلت فعلتها، وأصبح المسلمون كما نرى أشتاتاً متفرقة، وتمكن منهم أعداء الإسلام وسيطروا عليهم سيطرة شبه تامة.

ولأن الله ﷻ قد وعد بحفظ دينه وإتمام نوره، فقد جعل سبحانه وتعالى تلك المخططات الخطيرة سبباً لا يطاق بعض الغيورين على الإسلام، فظهرت الصحوة الإسلامية بعد سقوط الخلافة، وبدأت آثارها تظهر تدريجياً بين المسلمين، وارتفعت في ربوع العالم الإسلامي أصوات كثيرة تطالب بالوحدة، ودعوة الخلافة مرة أخرى.

فماذا فعل أعداء الإسلام تجاه هذه الصحوة؟!

لقد رأوا فيها تهديداً خطيراً لجهودهم الرامية للقضاء على الإسلام؛ لذلك فقد قاموا بتطوير أساليبهم وإضافة مخططات جديدة إلى مخططاتهم..

لقد كان اهتمامهم الشديد في السابق موجهاً نحو تغيير المسلمين، وإضعاف سلطان الدين في نفوسهم، والانكفاء على ذاتهم والتفكير الدائم في كيفية تحصيل شهواتهم، لكنهم وجدوا أن هذه الأجيال الهشة لازال لديها القابلية للتغيير وفق مبادئ الإسلام، لذلك أضافوا إلى مخططاتهم بُعداً جديداً يهدف إلى تغيير الإسلام

(١) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ص ٥٧ - ٥٩ باختصار.

ذاته في عقول المسلمين ليصبح ديناً جديداً محدوداً يُركز على العبادات والشعائر الفردية ويتعد عن القضايا الكلية للأمة...

ولأنها حرب شبه جديدة فإن وثائقها وسجلاتها لم تظهر بصورة كبيرة، إلا أن هناك بعض الكتابات الغربية قد أظهرتها وبخاصة تلك التي قامت بإعدادها بعض مراكز الدراسات في الغرب والتي تعد بمثابة مراكز صناعة القرارات هناك.

ومن هذه الدراسات التي ظهرت في الآونة الأخيرة تلك الدراسة التي أعدها مؤسسة راند الأمريكية^(١) عام ٢٠٠٧ ميلادية بعنوان «بناء شبكات مسلمة معتدلة» ونسوق إليك - أخي القارئ - بعض ملامح تلك الدراسة والذي قام بترجمتها والتعليق عليها د. باسم خفاجي الباحث بمركز العربي للدراسات الإنسانية في كتابه «استراتيجيات غربية لاحتواء الإسلام» قراءة في تقرير راند ٢٠٠٧.

فبعد أن قام الكاتب بترجمة التقرير، قام باستخلاص العناصر الأساسية التي تضمنها التقرير لاحتواء الإسلام، نسوقها لك باختصار - أخي القارئ^(٢):

المعركة لن تحسم فقط بمقاومة الإرهاب:

يشير التقرير في أكثر من موقع أن الإرهاب ليس هو جوهر المشكلة القادمة من العالم الإسلامي، وإنما المشكلة في الإسلام في حد ذاته، وكذلك التيار الإسلامي بمجموعه كتيار معبر عن روح الإسلام إنهما معاً يمثلان التحدي الحقيقي...

نقل ساحة الصراع إلى داخل العالم الإسلامي بدلاً من أن يكون صراعاً مع الغرب:

(١) مؤسسة راند هي من أكبر المراكز الفكرية في العالم، ومقرها الرئيسي- في ولاية كاليفورنيا الأمريكية وتعتبر مؤسسة راند أحد المؤسسات الفكرية المؤثرة بشكل كبير على المؤسسة الحاكمة في أمريكا... وتصب كثير من الدراسات والبحوث الصادرة عن هذه المؤسسة في خانة أنصار مواجهة الإسلام والمسلمين، وهي التي قامت بكتابة مشروع الإسلام الديمقراطي... المصدر كتاب استراتيجية غربية لاحتواء الإسلام.

(٢) من الأهمية بمكان قراءة هذا التقرير ومعرفة تفاصيله.

يسعى التقرير إلى تحريك أرضية الصراع ونقلها لتكون داخل العالم الإسلامي، وبين المسلمين أنفسهم بدلاً من الواقع الحالي الذي تشكل فيه طبيعة المواجهة لتكون بين الغرب من ناحية وبين العالم الإسلامي من ناحية أخرى. لا بد من تغيير الإسلام أو احتوائه أو تهميش دوره:

يؤكد التقرير على التحول الفكري من خلال الرغبة في تغيير المسلمين، إلى الرغبة في تغيير الإسلام بوصفه المحرك الفكري والعقدي لتيار مقاومة الهيمنة الغربية بمختلف أشكال وصور تلك المقاومة.

وتجمع الدراسات الفكرية التي تتعاطف مع تقرير مؤسسة راند، وتحمل نفس توجهاته الفكرية على أنه في حال صعوبة تغيير الإسلام، فلا بد من احتوائه وإعادة إلى المسجد، ومنعه من التأثير على الأفراد إلا في مجالات العبادات الفردية فقط.

إعادة تفسير مبادئ الإسلام لتستجيب للمصالح الغربية:

تطالب تقارير مؤسسة راند - بإصرار - بإعادة تفسير الإسلام، أو بعبارة أخرى، إعادة كتابته لكي يتلاءم مع التغيرات العالمية كما تم من قبل مع النصرانية واليهودية اللتين تم تحريفها، ولا يزال العمل قائماً على استمرار التحريف لكي يطوع الدين للإنسان، ويبرر له ما يفعل، ويجعل الحياة أكثر إمتاعاً وحرية له. أما الإسلام - الذي وعد الله جل جلاله بحفظه - فإنه استعصى حتى الآن على محاولات التحريف، وستشهد الأعوام القادمة محاولات جادة من قبل الغرب لتحقيق ذلك، والله غالب على أمره ولكنهم مجهلون.

استخدام الإسلام في مواجهة الإسلاميين:

يوصي التقرير أن تستخدم النصوص الشرعية لمواجهة الإسلاميين، وأن يتم التنقيب في التراث الإسلامي عما يمكن أن يستخدم لتبرير تغيير المواقف الإسلامية، أو يساهم في تغيير الإسلام، وستقوم الإدارة الأمريكية ومن يحالفها في عالمنا الإسلامي بتوزيع تلك المعلومات والأفكار بكثافة في الفترة القادمة لزعزعة ثقة

المسلمين فيما لديهم من حقائق ومعلومات.

كما أنه من المتوقع استخدام بعض التيارات الإسلامية ضد البعض الآخر..

إحياء ودعم وتقوية العلمانيين في مواجهة التيار الإسلامي..

اتهام كل الخصوم بالسلفية والتطرف:

من المتوقع أن تشهد الفترات القادمة اتهام كل من يخالف أو يتحدى مشروع الهيمنة الفكرية الأمريكية بالسلفية والتطرف؛ بوصفها صفات مجهولة للكثير من المسلمين، ومكروهة من البعض، ويسهل تهمشين من ينتسبون إليها بالنسبة للبعض الآخر، وقد وُصف الشيخ يوسف القرضاوي في ها التقرير بأنه «سلفي متطرف».

قد تحاول أمريكا مستقبلاً استخدام التيارات الصوفية الموالية للغرب في جملة الهجوم على التيار الإسلامي بالعموم^(١).

تحجيم نهضة بعض تيارات الإسلاميين من خلال الحوار معهم:

يوصي التقرير أن يستخدم الحوار كوسيلة لتغيير قنوات بعض الإسلاميين، أو إجبارهم على مناقشة القضايا التي كانت تعتبر خارج دائرة النقاش والاختلاف، أو تعطيل مسيرتهم الفكرية حتى تحين فرصة مواجهتهم.

* التركيز على تحويل أطراف الأمة ضد مركزها:

(١) نشرت مجلة البيان في عددها ٢٧٨ الصادر في شوال ١٤٣١ (سبتمبر ٢٠١٠م) نقلاً عن موقع (المصريون) الإلكتروني بتاريخ (٣/٨/٢٠١٠م) أنه قد عقد سكرتير السفارة الأمريكية بالقاهرة ممثلاً عن الإدارة الأمريكية اجتماعاً مع مجموعة من مشايخ الصوفية، في لقاء استمر لمدة ساعتين، تناول بشكل خاص نشر- الصوفية بين المسلمين بالولايات المتحدة.

وتم الاتفاق خلال الاجتماع على أن تستضيف الإدارة الأمريكية مشايخ الصوفية على نفقتها الخاصة، لتنظيم العديد من الفعاليات والأنشطة، والقيام بزيارات إلى الولايات المتحدة لنشر- الصوفية بين المسلمين الأمريكيين.

وطلب ممثل الإدارة الأمريكية استمرار اللقاءات والتنسيق بين الجانبين، معتبراً أن نموذج الإسلام الصوفي يمثل الإسلام المقبول والمرحب به في الولايات المتحدة لكونه إسلاماً وسطياً معتدلاً.

يؤكد التقرير على استراتيجية التعامل مع الأطراف ومحاولة تغيير الإسلام، وتحجيم الإسلاميين في تلك الدول التي تكون فيها البيئة الفكرية صالحة لذلك، مع التقدم بشكل تدريجي نحو المركز، وهو تحديداً العالم العربي.

* عكس مسار الأفكار لتهاجم بدلاً من أن تنطلق منه:

من الواضح أن الفترات القادمة ستشهد محاولات لقمع الفكر المستقل في مركز ثقل الأمة وهو العالم العربي، مع تقوية الفكر المتحرر المعادي للشريعة وللإسلام النقي في أطراف الأمة، وترجمة تلك الأفكار والكتابات، ومحاولة فرضها على العالم العربي من خلال الترجمة والنشر المكثف.

اختيار الاعتدال كمصطلح رئيس في المواجهة الفكرية^(١):

لكل معركة أسلحتها ومصطلحاتها، ومن الواضح أن تقرير «راند» يريد أن يجعل من مصطلح «الاعتدال» بالمفهوم الأمريكي له أحد الأسلحة التي تستخدم استراتيجياً لتغيير الإسلام والمسلمين معاً، أو للتلويح بأن أي مقاومة للاعتدال بالمفهوم الأمريكي هي تعبير عن التطرف والغلو الذي يجب معاقبته باسم القوانين الدولية.

إن استراتيجية المرحلة القادمة سوف تركز على اختطاف هذا المصطلح النبيل، وتحويله في وجه الإسلام والمسلمين وكل من لا يعادي الإسلام^(٢).
كلمة أخيرة حول هذه المخططات:

أرأيت أخي القارئ كيف أنها حرب شرسة، وأن عدونا لا يهدأ ولا يكل من

(١) اختبار الاعتدال:

يضع التقرير مجموعة من الأسئلة التي يعتبرها مقياساً للاعتدال، وأن الإجابة عن هذه الأسئلة تحدد ما إذا كان الفرد أو الجماعة يمكن أن يوصف بالاعتدال أم لا. يحذر التقرير من أن التيار الإسلامي يدعي في بعض الأحيان أنه تيار معتدل، ولكن وقّف تفسير خاص به للاعتدال، وأن وجود قائمة من الأسئلة المختارة والمتفق عليها يمكن أن يحل هذه المشكلة، ويكشف للإدارة الأمريكية نوايا الأفراد والجماعات من التيار الإسلامي ممن يدعون الاعتدال أو يطالبون بأن يعاملوا معاملة المعتدلين، وهو ما يجب أن يقتصر - حسب رؤية التقرير - على من يبتازن اختبار الاعتدال الأمريكي. يضع التقرير السؤالاً تشككياً في مجملها المحددات الرئيسية لوصف الاعتدال المقترح.. وتدور هذه الأسئلة حول حرية تبديل الأديان، وتأييد الديمقراطية، وإمكانية إن يتولى أحد الأفراد في الأقليات الدينية مناصب سياسة عليا في دولة ذات أغلبية مسلمة، والقبول بنظام تشريعي يقوم على مبادئ تشريعية غير مذهبية، من الأهمية بمكان قراءة نص هذه الأسئلة من الكتاب).

ومن اللافت للنظر أن التقرير يؤكد أهمية استخراج النصوص الشرعية من التراث الإسلامي والتي يمكن أن تدعم هذه اللائحة وتؤكدها، وأن يستخدم الدعاة من الشباب - كما أساهم التقرير - لتحقيق ذلك والقيام والقيام بهذا الدور.

ويوصي التقرير أن تكون الدعوة للاعتدال بعيداً عن المساجد، وأن تستخدم البرامج التلفازية والشخصيات ذات القبول الإعلامي والجهري من أجل تحقيق ذلك (من كتاب استراتيجيات غربية لاحتواء الإسلام د. باسم خفاجي ص ٢٧-٢٩ باختصار).

(٢) من كتاب: استراتيجيات غربية لاحتواء الإسلام - قراءة في تقرير راند ٢٠٠٧ من ص ٤٩ - ٥٣ باختصار - المركز العربي للدراسات الإنسانية - القاهرة، والكتاب هو العدد الرابع من سلسلة رؤى معاصرة.

أجل القضاء على الإسلام داخلنا؟!

فماذا نحن فاعلون؟!

ألا يستحق ذلك أن نشمر عن سواعد الجِدِّ، وأن نبذل غاية الجهد في سبيل إصلاح ما تهدم، والعمل على صد هذه الهجة الشرسة؟!

نعم، إن مشروع إعادة بناء الشخصية المسلمة على أساس الإسلام الشامل الكامل يحتاج إلى جهد كبير؛ لأنه يعمل ضد التيار، ولكن ليس هناك طريق غيره.

إن أعداءنا يملكون الكثير من أدوات التأثير، ويستخدمون الأساليب التربوية المتنوعة التي تخدم مخططاتهم لإفساد الأجيال المتلاحقة، فلقد فطنوا - من قديم - بأن التربية هي الأداة الرئيسة للتغيير، ولقد استطاعوا أن يغيروا الكثير من المعتقدات والقيم والمفاهيم والأعراف للشكل الذي يريدونه وذلك من خلال التربية بوسائلها المختلفة، وما علينا ونحن نسعي لنهوض الأمة من كبوتها، وعودتها إلى مكانتها إلا أن نستخدم التربية على أساس الإسلام كأداة رئيسة لتغيير الأمة من داخلها لتكون مؤهلين لتلقي فضل الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

إن التغيير من خلال التربية الإسلامية المتوازنة والمتكاملة أمر شاق يحتاج إلى جهد كبير، ولكن ليس هناك طريق غيره، لذلك علينا - أخي القارئ - أن يكون لكل منا جهد معتبر في هذه المعركة التربوية يسير جنباً إلى جنب مع الجهد المبذول مع أنفسنا وأهلنا.





الفصل الخامس

كيف نضبط الميزان؟!

- ثوابت في حياتنا
 - ﷻ أولاً: مع النفس
 - ﷻ ثانياً: مع الأهل
 - ﷻ ثالثاً: مع الدعوة
 - ضرورة التخفف من الأثقال
- 



كيف نضبط الميزان؟!



تطرق الحديث في الفصل الأول عن الدوائر الثلاث التي ينبغي أن يتحرك فيها المسلم، وفي الفصل الثاني كان عن الأسباب التي قد تدفعنا لإهمال أنفسنا، وما يؤدي إليه هذا الإهمال من آثار خطيرة في مختلف الدوائر.

وفي الفصل الثالث تناول الحديث بعض أن تصحح لدينا، كبداية لازمة للعلاج، باعتبار أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، وأن المنطلق الأول للسلوك الصحيح هو الفهم الصحيح.

وانتقل الحديث في الفصل الرابع إلى نقطة البداية العملية لحل المشكلة التي تتناولها صفحات هذا الكتاب ألا وهي: إهمال النفس وما قد يصاحب ذلك من إهمال الأهل وإهمال الدعوة.

وأكدت - بفضل الله - صفحات الفصل الرابع على أهمية إيقاظ قلوبنا من غفلتها كخطوة أساسية لا يمكن تخطيها لما بعدها إذا ما أردنا حلاً حقيقياً للمشكلة التي تعاني منها..

فإذا ما أكرمنا الله عز وجل بهذه اليقظة، فعلينا أن نعيد ترتيب أوراقنا، وتنظيم جهدنا، وتوزيعه بين الدوائر الثلاثة حتى لا ينطفئ نور اليقظة في قلوبنا مرة ثانية.

ومن أهم الأمور التي من شأنها أن تحقق لنا ذلك - بعد الاستعانة الصادقة بالله عز وجل - إلزام أنفسنا بأعمال ثابتة تمثل الحد الأدنى الذي يحدث بإذن الله التوازن بين الدوائر الثلاث (النفس - الأهل - الدعوة).

ثوابت مع النفس

أولاً: الصلاة على وقتها:

أول هذه الثوابت وأهمها: الصلاة على وقتها وبالمسجد مع الجماعة الأولى. فالمسجد هو بيت المؤمن، ومنبع من منابع النور والإيمان.. قال ﷺ: «المسجد بيت كل تقي، وتكفل الله لمن كان المسجد بيته بالروح والرحمة، والجواز على الصراط إلى رضوان الله، وإلى الجنة»^(١).

وإذا كان من السهل على بعضنا أداء الصلوات في المسجد، فإنه قد يصعب عليه المحافظة على صلاة الفجر به، وهذا أمر خطير لا ينبغي التهاون فيه، فلا يجوز - بأي حال من الأحوال، وتحت أي مسمي - أن نقصر في هذه الصلاة. ولنعلم جميعاً أن صلاة الصبح من أهم الأشياء التي تضبط الميزان.

كيف لنا أن تستيقظ على أشعة الشمس، ولا ننزعج من ذلك، وكأن شيئاً لم يكن، ثم نصل صلاة ميتة لا روح فيها، لنخرج بعد ذلك للقيام بواجبات الدعوة؟! أي بركة تلك التي سنجنحها في يوم لم نصل فيه صلاة الفجر على وقتها مع الجماعة الأولى؟! أخي الداعية..

لا يوجد لأحد مبرر يسوغ له عدم المحافظة على صلاة الفجر بالمسجد. فإن كان السهر هو السبب، فلا تسهر، وعد إلى منزلك مبكراً، واترك الفضائيات ونشرات الأخبار وتوضأ واذهب إلى سريرك..

(١) صحيح، رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ح (٣٢٤).

إن الذي سينصرنا على أعدائنا، ويعيد لنا خلافتنا هو الله عز وجل، ولقد أخبرنا سبحانه، بأنه لن ينصرنا إلا إذا أصبحنا عبيداً له.. معني ذلك أن الذي يحب دينه، ويحب دعوته، ويريد عودة المجد لأمته، فعليه أن يكون المسجد بيته، وأن يحرص كل الحرص على صلاة الصبح فيه، فيدخل في ذمة الله، قال ﷺ: «من صلى الصبح في جماعة فهو في ذمة الله، فمن أخفر^(١) ذمة الله كبه الله في النار لوجهه»^(٢).

ثانياً: قيام الليل:

أما ثاني هذه الثوابت فهو المحافظة على السنن الرواتب، ويأتي على رأسها قيام الليل، قال ﷺ: «عليكم بالقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى الله تعالى، ومنهية عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطرقة للداء عن الجسد»^(٣).

وإذا كان قيام الليل هذا الفضل العظيم فإنه فوق ذلك يمثل أهمية عظيمة للداعية، فهو بالنسبة له يعد بمثابة المدرسة، والنبع الذي يمدد بالإيمان، ويقوى إخلاصه وتوجهه لله عز وجل، وبدونه يحدث الاضطراب في يومه ويختل ميزانه.

وليس المقصد بقيام الليل حركة عضلات الجسم واللسان بالقراءة والقيام والقعود فقط، بل لابد من تحريك القلب وتجاوبه مع القرآن والدعاة والمناجاة.

يقول سيد قطب رحمه الله: إن قيام الليل والناس نيام، والانقطاع عن غبش الحياة اليومية، والاتصال بالله، وتلقي فيضه ونوره، والأنس ينزل من الملأ الأعلى.. واستقبال إشعاعاته وإيقاعاته وإيقاعاته في الليل الساجي.. إن هذا كله هو الزاد لاحتقال القول الثقيل، والعبء الباهظ، والجهد الميرير، الذي ينتظر الرسول ﷺ، وينتظر من يدعو بهذه الدعوة في كل جيل، وينير القلب في الطريق الشاق الطويل،

(١) يقال أخفرت الرجل: أي نقضت عهده وذمامه.

(٢) حسن، رواه ابن ماجة والطبراني، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ح (٢٥٨).

(٣) صحيح، رواه الإمام أحمد والترمذي، والحاكم عن بلال وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح (٤٠٧٩).

ويعصمه من وسوسة الشيطان، ومن التيه في الظلمات الحافة بهذا الطريق المنير^(١).

لا بديل عن قيام الليل:

أخي الداعية، إن دعوتنا دعوة ربانية، تستمد قوتها من الله عز وجل، فبيده سبحانه التوفيق والنصر- والهداية.. هو الذي يحمي الدعوة، ويفتح لها القلوب، ويحافظ على أبنائها، ويثبتهم أمام الفتن، ويلهمهم الرشد والسداد، وهو الذي يلقي الرعب في قلوب أعدائهم.. أي أن الأمر كله بيده سبحانه ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧].

فإذا كانت مفاتيح الخير والنجاح كلها بيد الله عز وجل، فمن الطبيعي أن يكون اتجاهنا التام له، وتعلقنا كله به سبحانه وتعالى.. أي أن الجهد الذي ينبغي بذله في العمل الدائم على استرضائه وسؤاله التوفيق والسداد وفتح القلوب ينبغي أن يكون أكبر بكثير من الجهد الذي ينبغي علينا أن نبذله مع الناس، ولم لا وحبُّ الله عز وجل للداعية، ورضاه عنه، يشكل أهم سبب لفتح قلوب الناس وحبهم له؟! قال ﷺ: «إذا أحب الله عبداً، نادى جبريل: إن الله يحب فلاناً فأحبه. فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبه. فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في أهل الأرض»^(٢).

فمن يحب دينه ودعوته حبا صادقا، ويرد عودة العزة لأمته، فليحسن صلته بالله عز وجل، وليكثر من مناجاته، والتذلل إليه، وليسأله كل حاجاته. ومن أفضل الأوقات للتعبير عن هذا كله: الثلث الأخير من الليل، فقد أخبرنا ﷺ: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له»^(٣).

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٧٤٥.

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٨٥).

(٣) رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (١٧٦٩).

في هذا الوقت الشريف تقدم الطلبات من العبيد، ويتم الموافقة عليها من ملك الملوك، فأى حسرة، وأى خسارة تلك التي نخسرها عندما يفوتنا هذا الوقت دون أن نقدم فيه ما نريده لأنفسنا ولأهلينا ولدعوتنا!!
أخي الداعية..

لا بدليل أمامنا يعوضنا عن أنين السحر؛ فهذا الأنين هو الذي سيعيدنا إلى حظيرة العبودية لله عز وجل، ويفتح لنا أبواب النصر- والتوفيق، ويحررنا من أسر التعلق بالناس.

يقول محمد إقبال: «كن مع من شئت في العلم والحكمة، ولكنك لا ترجع بطائل حتى تكون لك أنه في السحر»^(١).

ثالثاً: الانشغال بالقرآن:

ومن الثوابت التي لا يجوز أن يمر يوم الداعية بدونها: تخصيص وقت مناسب للقاء مع القرآن؛ فالقرآن من أهم الوسائل التي تحقق التوازن بين الدوائر الثلاث، إن لم يكن أهمها على الإطلاق، ولم لا وهو الدواء الرباني الذي أنزله الله عز وجل ليهدينا إلى الطريق المستقيم، ويشفينا مما نعاني منه من أدواء؟! ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾ [فصلت: ٤٤]، ولو أردت أن تدرك قيمة هذا القرآن ومدى تأثيره فتدبر معي قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

ماذا سيفعل القرآن؟!

المعجزة القرآنية هي أكبر وأعظم معجزة نزلت من السماء، ويكمن سرها الأعظم في قدرتها - بإذن الله - على التأثير الشديد، ومن ثم التغيير الجذري الكامل والمستمر.. تغيير أي شخص مهما كان وضعه وحالته ليكون من خلال المصنع

القرآني عبداً لله عز وجل في كل أموره وأحواله..

.. فالقرآن هو الذي سيعرفنا معرفة صحيحة وعميقة بربنا سبحانه وتعالى،
فيتغير تبعاً لهذه المعرفة تعاملنا وتقديرنا له، فيزداد إخلاصنا وتوجهنا إليه، وتماًلاً
خشيتيه قلوبنا وكذلك حبه وإجلاله والثقة فيه، والطمأنينة إليه.. وتدفعنا هذه
المعرفة كذلك إلى حسن التوكل والإنابة إليه والرجاء وحسن الظن فيه، والعمل
الدائم على استرضائه.

.. والقرآن هو الذي سيعيد تشكيل عقولنا ويصنع اليقين الصحيح فيها فتتغير
تصوراتنا واهتماماتنا، وترتفع أبصارنا من الأرض إلى السماء.

ومن خلال القرآن سنعيد تشكيل علاقتنا بمفردات الحياة، وستصغر الدنيا في
أعيننا، وتهون علينا، وتقل لهفتنا عليها.

.. والقرآن سيزهدنا في الناس، ويشعرنا بأنهم أمثالنا فقراء إلى الله لا يملكون
لنا نفعاً ولا ضرراً، فيؤدي ذلك إلى قطع الطمع فيهم أو الرغبة فيما عندهم.

.. والقرآن سيوقد شعلة الإيمان في قلوبنا، ويولد الطاقة والقوة الدافعة للقيام
بأعمال البر المختلفة، وبدافع ذاتي بحت.

.. والقرآن هو الذي سيذكرنا دوماً بحقيقتنا ووضعنا ومدى حاجتنا إلى
مولانا؛ فتتخطم بذلك الأصنام داخلنا، وتصغر أنفسنا في أعيننا، فلا نراها إلا بعين
النقص والحذر، فنكف عن تزكيتها والفرح والإعجاب بها.

.. والقرآن هو الذي سيذكرنا دوماً بما علينا من واجبات تجاه أنفسنا، وأهلينا،
وكذلك تجاه الآخرين..

.. والقرآن أفضل وسيلة لتطوير الفكر، فهو يستثير العقل ويحرك كوامنه
ويدفعه للتفكير، والقيام بدوره كقائد لهذه الأرض.

..وبالقرآن سيكون لدينا كل يوم جديد نقدمه للناس.

..والقرآن هو أفضل مصدر للعلم الحقيقي.. العلم بالله، الذي يورث الخشية، فمن خلاله تتخرج أهم طائفة من العلماء، ألا وهم العالمون بالله عز وجل ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

..والقرآن هو الذي سيقرب في أعيننا المسافة بين الحياة والموت فنرى من خلاله أحداث ما بعد الموت، فيزداد استعدادنا له، وتجاوينا عن دار الغرور.

..والقرآن هو الذي سيسكب فينا السعادة والسكينة والرضا والطمأنينة من خلال السلام الداخلي بيننا وبين أنفسنا، والاستعلاء على الشهوات، والسمو عما يتصارع عليه الناس.

فماذا نريد أكثر من ذلك؟!

﴿أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١].

كيف نعود إلى القرآن؟!

إن كان القرآن علاجاً حاسماً ومصدراً رئيساً لإعادة التوازن بين الدوائر الثلاث، فإن الواجب يحتم علينا الإقبال عليه والانشغال به، واعتباره زاداً أساسياً ينبغي تناوله كل يوم..

ولكي يتمكن القرآن من القيام بعمله معنا والنجاح في تغييرنا، لا بد أن نتعامل معه بشكل يختلف عما نفعله الآن.. فمما لا شك فيه أننا لو قرأنا القرآن آلاف المرات بحناجرنا فقط فلن يكون له أثر يذكر في تغييرنا، والدليل على ذلك هو الواقع الذي نشاهده ممن ينشغل بألفاظ القرآن تلاوة وحفظاً، ولا نرى أثراً إيجابياً لهذا الانشغال في حياته.

من هنا نقول: إننا نريد عودة صادقة للقرآن فتعامل معه على حقيقته كمصدر للهداية والاستقامة والشفاء، لا كمصدر لجمع الحسنات فقط.

.. هذه العودة تستدعي منا تفريغ وقت مناسب للقاء القرآن كل يوم، وفي مكان هادئ بعيداً عن الضوضاء، وأن نقرأه بتركيز وعدم سرحان، وأن نتجاوب مع خطاب الله لنا فنجيب عن أسئلته، ونستجيب لأوامره بالتسبيح والاستغفار والسجود، وعلينا كذلك أن نقرأه بهدوء وترسل، وترتيل، ولا يكن هم أحدنا آخر السورة أو الجزء، بل همه فهم آياته والتأثر بها..

وعلينا كذلك أن نكرر الآية التي تؤثر في قلوبنا، ولو لعشرات المرات، فالحياة الحقيقية للقلب هي أوقات تأثره وانفعاله.. فلنحرص على ذلك أيما حرص.

وعلينا ألا ننشغل بالتفسير وقت لقائنا بالقرآن، وليكن المعني الإجمالي للآية هو مقصدنا، ولنترك الآيات تنساب داخلنا، ويتصاعد تأثيرها شيئاً فشيئاً حتى يتم تجاوب القلب معها ودخول نورها إليه.

أما التفسير فلتكن لنا معه وقفة ولكن في وقت آخر غير وقت لقائنا بالقرآن؛ فنفهم من خلاله ما أشكل علينا، ونتعرف على الأحكام الشرعية التي دلت عليها الآيات.

رابعاً: المحافظة على ورد من الذكر:

الذكر عبادة خفيفة وسهلة على كل إنسان، ولها دور كبير في زيادة الإيمان وحياة القلب.. قال ﷺ: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت»^(١).

فعلينا أن نجعل من ثوابتنا اليومية ورداً من الذكر نحافظ على القيام به مهما كانت شواغلنا.

(١) رواه البخاري (٦٤٠٧)، ومسلم (٧٧٩/٢١١).

هذا الورد ينبغي أن يشمل عددًا من الذكر المطلق يحدده كل فرد لنفسه من تسبيح وتهليل واستغفار وحوقلة وصلاة على الرسول ﷺ.

وأفضل أوقات الذكر: طرفا النهار، وفي الليل، وأدبار الصلوات كما قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ [ق: ٣٩-٤٠].

ومع ورد الذكر المطلق علينا أن نلتزم كذلك بأذكار الصباح والمساء، وسائر أذكار الأحوال المختلفة كأذكار الطعام والشراب، والنوم والاستيقاظ، والدخول والخروج من المنزل، مع ملاحظة أن تحريك اللسان بالذكر فقط قليل النفع والتأثير على القلب، لذلك علينا أن نجتهد في تحريك القلب واللسان معاً، وهذا يحتاج إلى مداومة واستمرارية على الذكر، والعمل على جمع القلب معه على قدر استطاعتنا.. مع العلم بأنه كلما ازداد تعاملنا الصحيح مع القرآن سيزداد معارف القلب عن الله عز وجل، مما يؤهله لحسن استقبال الذكر والتجاوب معه.

خامساً: المداومة على الصدقة:

للصدقة تأثير عجيب على القلوب، ولها دور فعال في تصغير حجم الدنيا في أعيننا، وطردها من قلوبنا، وزيادة تعلقنا بالله عز وجل وبالدار الآخرة.

جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، مالي لا أحب الموت؟! قال: «هل لك مال؟» قال: نعم يا رسول الله! قال: «فقدم مالك بين يديك» قال: لا أطيق ذلك يا رسول الله! قال: «فإن المرء مع ماله، إن قدمه أحب أن يلحقه، وإن خلفه أحب يتخلف معه»^(١).

(١) رواه عبد الله بن المبارك في الزهد عن عبد الله بن عبيد برقم (٦٣٤).

ولكي تؤتي هذه الوسيلة الهامة ثمارها لا بد من المداومة عليها كما قال تعالى:
﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

فلتصدق كل يوم مهما كانت حالتنا المادية ولو بما يعادل شق تمر، ولنعلم أن هدفنا الأول من إخراج الصدقة ليس الفقير الذي يأخذها، بل تزكية أنفسنا وعلاجها من الشح وحب الدنيا، والدخول في رحمة الله عز وجل ﴿وَأَنْفَقُوا خَيْرًا لَا أَنْفُسَكُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وعلينا التبكير بإخراج الصدقة من جيوبنا ووضعها في مكان آخر حتى نجد لها باباً نضعها فيه..

هذا التبكير له أهميته في الاستفادة القصوى من ثمرات الصدقة اليومية، قال ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط متفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً»^(١).

سادساً: القراءة اليومية في كتاب نافع:

ومن الثواب التي ينبغي أن نحافظ عليها في يومنا: القراءة في كتاب نافع.. نقرأ فيه بتركيز، ونسجل ما يستحق أن نسجله من أفكار وأقوال، وليكن لنا - على الأقل - كتاب كل شهر نتزود من خلاله بالعلم النافع الذي يوسع مداركنا، ويعمق فهمنا بزمأننا، وما يحيط بنا.

معينات على الطريق:

ومع هذه الثواب التي ينبغي أن نحافظ عليها في يومنا، فإن هناك كذلك معينات تعيننا أكثر وأكثر على التوازن، وضبط الميزان، مثل الصيام - ولو ثلاثة أيام كل شهر - فالصيام له دور كبير في ترويض النفس، وتقوية الإرادة.

(١) متفق عليه عن أبي هريرة.

ومن المعينات كذلك: الاستفادة من مواسم الخير كشهر رمضان، ويوم الجمعة، وموسم الحج، والعمرة.

ثوابت مع الأهل

كما أن هناك أعمال ينبغي أن يلزم المرء بها نفسه، ويداوم على أدائها حتى تستمر يقظته، فهناك كذلك أعمال ينبغي أن يداوم على القيام بها مع زوجته وأولاده لتظل - بإذن الله وفضله - بوصلة التوجيه الصحيح لبيته بين يديه.. وإليك أخي القارئ بعض الخطوط العريضة لأهم السياسات والأعمال التي ينبغي أن نمارسها مع أهلنا:

١- التواجد في البيت:

فالتواجد في حد ذاته له أهمية كبرى في التربية، ولم لا ومن خلاله تتحقق أهم وسيلة للتربية وهي التربية بالقدوة، فعندما يري الأبناء أباهم يقرأ القرآن، ويذكر الله، ويبادر إلى الصلاة متى سمع النداء، ويكرم ضيفه، ويهتم بأحوال المسلمين، فإن ذلك من شأنه أن يغرس فيهم حب هذه الأمور، ومن ثم التعود عليها وفعلها بعد ذلك بسهولة وبدون إلحاح كبيرة من الوالدين.

٢- متابعة الزوجة والأولاد في جوانب حياتهم المختلفة:

ويأتي على رأسها: متابعتهم في العبادة، وتشجيعهم على أدائها.. ومن صور المتابعة كذلك: التعرف على أصدقائهم، ودفعهم للتواجد مع صحبة صالحة سواء كانوا من أبناء الدعاة أو من غيرهم.

٣- العمل على إشباع رغباتهم وحاجتهم النفسية:

فيكون الإشباع في اللهو واللعب والترفيه - تحت سمعنا وأبصارنا - فنصحبهم إلى أماكن التنزه المنضبطة فنلعب معهم، وننطلق في عالمهم.

٤- المحافظة عليهم من التأثير الضار والخطير لوسائل الإعلام:

فنجلس معهم وهم يشاهدون وسائل الإعلام، ونبين لهم مخاطرها ومدى

استهزائها بعقولنا وعقيدتنا، ثم ننقلهم إلى البديل الذي يحافظ على هويتهم، ولا يخرب عقولهم أو ينحرف بتصوراتهم عن الحياة.

ولنحتسب عند الله ما ننفقه في توفير البديل الإعلامي الهادف لهم، فالإنفاق من أجل التشكيل الصحيح لشخصية أبنائنا أهم بكثير من ادخار الأموال لمستقبلهم.

٥- ربط الأحداث بالله عز وجل:

علينا ونحن نجلس بين أبنائنا أن نعرفهم بالمهمة التي خلقنا من أجلها، وأنا ما خلقنا لنأكل أو لنشرب أو لتتزوج... بل لممارسة وظيفة محددة إلا وهي: العبودية لله عز وجل، وأن هذه العبودية تعني الاستسلام والانقياد له سبحانه، والتوجه الدائم إليه، وطاعة أوامره، واجتناب نواهيه، والجهاد في سبيل إعلاء كلمته، وغير ذلك من مظاهر العبودية. وهذا يستدعي تعريفهم بربهم، وربط أحداث الحياة به - سبحانه - فنربط النعم التي ترد علينا بفضلهم وكرمه وإنعامه، ونربط أي نقص يحدث لنا بأنه جزاء تقصيرنا في أداء حق من حقوقه علينا، ونربط التوفيق بالطاعة، والخذلان بالمعصية، وعلينا كذلك أن ننمى فيهم الشعور بالحياء منه سبحانه وتعالى.. هذا الواجب هو أهم واجب ينبغي أن يقوم به الأب في بيته - ألا وهو ربط أحداث الحياة بالله سبحانه -، فما من حدث يحدث للمرء إلا واره حكمة ورسالة من الله، والسعيد من أحسن قراءة تلك الرسالة فعلى أن نعود أنفسنا وأولادنا على استقبال أحداث الحياة بهذا المفهوم، مما يزيدنا تعلقاً بالله عز وجل وتوكلاً، وإنابة إليه، وزهداً في الناس.

٦- ممارسة التوحيد العملي معهم:

والمقصد من التوحيد العملي أن نجعلهم دومًا يسألون الله جميع حاجاتهم وأن صغرت، وأن نجعلهم يستعينون به في تصريف أمورهم، ويتوكلون عليه في كل صغيرة وكبيرة تخص حياتهم، فلا يملك أحد في هذا الكون شيئاً إلا الله.

هذا المعني من أهم المعاني التي ينبغي أن نهتم بها في تربيتنا لأبنائنا، ولنا في قصة يعقوب - عليه السلام - أبلغ المثل في تعليم أبنائه التوحيد العملي، ومن ذلك قوله تعالى على لسان نبيه يعقوب: ﴿قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧].

وقوله: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُّوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

وهذا الزبير بن العوام يوصي ابنه عبد الله - رضي الله عنهما - يوم الجمل بسداد دينه ويقول له: يا بني إن عجزت عن شيء منه فاستعن عليه مولاي، قال عبد الله: يا أبت، من مولاك؟ قال: الله، قال عبد الله: فوالله ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت: يا مولى الزبير اقض عنه دينه، فيقضيه^(١).

٧- التعامل الصحيح مع القرآن:

أما القرآن فعلينا أن نحبههم فيه، وأن نجعلهم يفهمون ما يقرؤون، وأن نعودهم على البحث في الآيات التي يقرؤونها عن معني من المعاني الإيمانية والتي علمناها إياها فنطلب منهم - مثلاً - استخراج نعم الله من إحدى السور، أو التعرف على أحداث اليوم الآخر من سورة أخرى، وهكذا.

ولنحذر من أن يكون اهتمامنا مع أنفسنا أو معهم بألفاظ القرآن الكريم فقط، بل المطلوب الاهتمام باللفظ والمعني.

نعم، مطلوب منا أن نجعلهم يحفظون قدرًا منه، ولكن بطريقة الصحابة رضوان الله عليهم كما نخبرنا بذلك عبد الله بن مسعود: كان الرجل منا إذا تعلم

(١) صحيح البخاري (٣١٢٩) كتاب فرض الخمس.

عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن^(١).

قد يقول قائل: ولكن حفظهم للآيات بهذه الطريقة سيجعلهم يمكثون فترة طويلة في حفظ السورة، مما قد يفوت عليهم استكمال حفظ القرآن كله وهم في السن الصغيرة حيث الذهن الصافي، والقدرة العالية على الحفظ..

نعم، ستتسبب هذه الطريقة في بطء حفظهم للسورة، ولكن في مقابل ذلك فإن ربط الحفظ بالإيمان والعمل الصالح له أثر تربوي عظيم يفوق أضعاف أضعاف ما يعود عليهم من حفظهم للقرآن كله بلفظه فقط، ولعل أكبر دليل على ذلك هو شهادة الواقع التي نخبرنا بأن حفظ القرآن - بعضه أو كله - بلفظه فقط لم يترتب عليه أي أثر إيجابي يذكر في سلوك الأفراد.

فإن قلت: ولكن لا يستطيع القيام بهذه المهمة مع أبنائي، فماذا أفعل؟! في هذا الحالة علينا أن نبحث في أصدقائنا عمن يصلح لأداء هذه المهمة، فنعهد إليه بأبنائنا، ونطلب منه التمهّل في كم الحفظ، مع ربط الآيات بمعانيها الإيانية، وضرورة وجود واجب عملي يستخرج من الآيات ويتم الالتزام به ومتابعته.

٨- تربيّتهم على التواضع:

ومن واجباننا مع أبنائنا كذلك تربيّتهم على التواضع، وإشعارهم دوماً أنهم ليسوا أفضل من غيرهم بنسب أو مال أو مسكن أو...، ولنغرس فيهم أن الناس سواسية، وأن كرامة العبد عند الله مرتبطة بمدى تقواه.. تأمل معي ما قاله لقمان لابنه وهو يعلمه التواضع ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ وَأَفْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿[لقمان: ١٨-١٩].

٩- ترغيبهم في الدعوة إلى الله:

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير - المقدمة ٤ / ١.

علينا دوماً أن نحجب أبنائنا في الدعوة إلى الله، وفي دعائها، وأن نشعرهم دوماً بالخطر المحدق بالأمة، وضرورة العمل للإسلام ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

١٠- الاهتمام الخاص بالزوجة:

أما الزوجة فينبغي أن يكون لها اهتمام خاص، فهي محور البيت، ومن خلالها يتم تنفيذ التوجيهات والسياسات.

ومن وسائل الاهتمام بالزوجة التواصل معها على فعل الخير، وتحبيبها في الدعوة إلى الله، وأن يكون لها صحبة صالحة في المسجد وغيره تعينها على الاستقامة على أمر الله.

الوسائل المعينة:

هناك بعض الوسائل التي من شأنها أن تيسر لنا القيام بما سبق ذكره من واجبات في بيوتنا:

جلسة الطعام:

فبالإضافة إلى أهمية تواجدها في بيوتنا، علينا أن نستفيد من الأوقات التي يجتمع فيها شمل الأسرة، وتأتي على رأسها أوقات الطعام.. هذه الأوقات التي تتكرر كل يوم لا ينبغي أن نتركها تذهب سدى، بل علينا أن نستمتع فيها لأبنائنا وما حدث معهم في يومهم ليكون التوجيه المناسب بعد ذلك، وفيها أيضاً يمكن أن يتم طرح مفهوم جديد على الأبناء، أو حل مشكلة تتعلق بأحد الأفراد أو ما شابه ذلك.

لقاء البيت الأسبوعي:

ومن الوسائل المهمة التي تساعد على تنفيذ ما نريده مع أبنائنا: لقاء البيت الأسبوعي - ولو لمدة ساعة - حيث يجتمع جميع أفراد المنزل في وقت مناسب لهم، وتكون البداية قراءة بعض آيات من القرآن والتي تحمل معني إيمانياً يريد الأب

توصيله للحاضرين، ثم التعليق حولها، والاتفاق على واجب عملي يتم الالتزام به طيلة الأسبوع تكون له علاقة بالآيات المقروءة، والمعني الذي تحمله.

فعلى سبيل المثال: لو تناول الجميع سورة الضحى، وتم ربط الآيات بالحديث عن نعم الله علينا، وكيفية شكرها.. فمن المناسب أن يكون الواجب العملي مرتبطاً بذلك بأن يقوم كل فرد بإحصاء نعم الله عليه - كتابة - وعرضها على الجميع في نهاية الأسبوع.

ومع تدارس القرآن واستخراج جوانب الإيمان منه، يمكن أن يكون هناك كتاب في السنة أو السيرة النبوية يتم قراءة شيء منه، مع استخراج الدروس المستفادة.

ولكي يؤتي هذا اللقاء ثماره الياقة ينبغي أن تتاح الفرصة للجميع للتعبير عن أفكارهم، واحترام آرائهم. وعدم تسفيهها، واعتماد مبدأ الشورى فيما بينهم، فذلك من شأنه أن يوسع مداركهم، وينمي مواهبهم، ويشحذ همهم، ويزيدهم تعلقاً بربهم.

ومع هذه اللقاءات الأسرية الجادة، تأتي الحفلات المنزلية وما فيها من إنشاد وهو مباح كوسيلة من وسائل الترفيه، وزيادة الترابط بين الأبوين وأبنائهما.

ثوابت دعوية



حلاوة الاهتمام بالنفس:

عندما يكرمنا الله عز وجل ويعيننا على الاهتمام بأنفسنا وبيوتنا على النحو الذي قبل في الصفحات السابقة، فمن المتوقع أن نرى آثاراً طيبة لهذا الاهتمام، وأن نشعر بحلاوة الإيمان، ونشعر كذلك بالطمأنينة والسكينة وراحة البال.

... هذه الآثار العظيمة التي حرّمها الكثير منا بسبب عدم التوازن بين الدوائر الثلاث، قد تدفع بعضنا إلى الانشغال أكثر وأكثر بنفسه طمعاً في مزيد من تلك الآثار، فيؤدي ذلك إلى إهماله لدعوته وللتكاليف المطلوبة منه مما يتسبب في مشكلة خطيرة ألا وهي انصراف الدعاة عن دعوتهم وإعطاؤها فتات أوقاتهم، فيثمر ذلك مزيداً من التدهور في أحوال الأمة، ولم لا والدعاة إلى الله الآن يشكلون - بعون الله - حائط الصد الرئيسي الذي يواجه الحملات الشرسة لأعداء الإسلام في كل مكان؟!

.. من هنا تظهر قيمة وجود ثوابت دعوية في حياة الفرد، والتي ينبغي أن تكون بمثابة الحد الأدنى لحركته في المجتمع، مع ضرورة الأخذ في الاعتبار أن حركة الفرد الدعوية ينبغي أن تكون حركة تربية تهدف إلى بناء الشخصية المسلمة المتوازنة والمتكاملة، فكما أسلفنا فإن أعداءنا يعملون ليل نهار من أجل هدم بنياننا الداخلي وطمس هويتنا، وإضعاف سلطان الدين في قلوبنا، لذلك فإن عملنا الدعوى ينبغي أن يكون عملاً تربوياً، فلا يكفي الوعظ العام أو الخطبة أو الكتاب لتغيير السوّل؛ بل لابد من تدارس متأن للمعاني الإسلامية ومتابعة تنفيذها حتى تنتقل من الإطار النظري إلى العملي، ومن ثم يظهر الأثر الإيجابي واضحاً في شخصية الفرد.

المحض التربوي:

ولكن يحسن الفرد القيام بهذه المهمة مع غيره: لا بدو أن تتم معه أولاً من

خلال تواجدہ بین إخوانہ فی «صحبة صالحة» أو بمعنى آخر «محض تربوي».

هذه الصحبة الصالحة تعد بمثابة البيئة التربوية التي يمارس فيها الفرد المعاني الإسلامية، ويكفيك في بيان أهميتها قوله تعالى لرسول ﷺ ولأمته من بعده: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]. فعلى كل واحد منا أن يسعى للتواجد في صحبة صالحة ومحض تربوي، وأن يجعل ذلك من أهم ثوابته الدعوية.

الواجبات الدعوية:

ومن الثوابت الدعوية كذلك: أداء الواجبات والتكاليف الخاصة بالدعوة، فالمشروع الإسلامي لبناء الأمة من جديد وإعادة مجدها يتكون من مراحل وخطوات كثيرة، وكل خطوة نخطوها فيه تقربنا إلى الهدف المنشود، هذا - بلا شك - يحتاج إلى جهد وتكاتف بين الدعاة.. معنى ذلك أن على الأخ المسلم أن يبادر إلى القيام بتلك الواجبات ولا ينبغي أن يستهين بها أو يؤجلها أو يظن أنها ليس لها قيمة معتبرة.. فكل حبة عرق تسقط من جبينك - يا أخي - وأنت تسير في طريق الدعوة لها قيمة عزيزة ودور مهم في اختصار مدة بناء المشروع الإسلامي، وفوق ذلك فإن لها ثواباً وأجرًا عظيمًا عند الله عز وجل كما وعدنا سبحانه بقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٢٠-١٢١].

افعل شيئاً جديداً للإسلام:

ومع القيام بالواجبات والتكاليف الدعوية عليك - أخي المسلم - أن تكون إيجابياً لا تنتظر التكليف حتى تبدأ العمل، بل عليك أن يكون من ثوابتك اليومية أن

تفعل شيئاً جديداً كل يوم للإسلام وأن تسأل نفسك في نهاية يومك: ماذا قدمت لديني؟!

وهناك صور وأشكال كثيرة للعمل الإسلامي تناسب الجميع - مهما كانت إمكانياتهم - ومن ذلك:

- القيام على خدمة الناس وتقديم صورة طيبة عن الإسلام.
 - تصحيح مفهوم خاطئ عن الإسلام لدى العامة.
 - التواصل مع الأقارب والجيران والمعارف والإحسان إليهم.
 - المشاركة في الأعمال الخيرية التي تعود بالنفع على الناس.
- ضرورة التهذيب التربوي للأعمال:
- وما يلزم التنوية إليه ضرورة أن تتم هذه الأعمال وغيرها في إطار دعوى ربوي يهدف إلى تصحيح المفاهيم والتصورات الخاطئة عن الإسلام في العقول، ويهدف كذلك إلى إصلاح الإيمان في القلوب، وتزكية النفوس، وتقويم السلوك حتى تعود تلك الأعمال - بإذن الله - بالنفع على المشروع الإسلامي الذي يهدف إلى إعادة بناء الأمة من الداخل، منطلقاً من قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

الدعوة الفردية:

والمقصود بالدعوة الفردية أن يكون هناك اهتمام خاص يوليه الداعية لبعض من يتوسم فيهم الخير، ويرى عليهم أمارات المهمة والرغبة الصادقة في العمل للإسلام، فيعمل معهم، ويقوم بتربيتهم على ما اكتسبه من معارف ومعاني تقرّبهم إلى الله - تعالى -، وتعرفهم بزمانهم.

هذا الأمر من أهم الثوابت التي ينبغي أن تكون في حياة الداعية، ولم لا ومن خلالها يزداد عدد العاملين للإسلام؟!

فالذي يحقق أهداف الدعوة الإسلامية هو العمل - لا الكلام -، هذا العمل يحتاج إلى رجال صادقين.. وهنا يأتي دورك - أخي الداعية - في البحث عن هؤلاء في كل مكان تحل فيه..

واعلم أن كل من تدعوه للمشاركة والعمل في بناء المشروع الإسلامي سيكون بمثابة صدقة جارية لك ترى أثرها عند الله عز وجل..

ألم يقل ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً»^(١)؟!

تخفف من الأثقال

من المتوقع أن يتبادر إلى ذهن من يقرأ الصفحات السابقة ويتفكر في الواجبات الملقاة على عاتقه، سؤال يقول:

أين الوقت الذي يمكننا من خلاله أن نؤدي هذه الثوابت والمعينات وبخاصة أن الكثير من أوقاتنا تستهلكه أعمالنا الدنيوية التي نتكسب منها ما يعيننا على توفير النفقة اللازمة لبيوتنا؟!

نعم، الواجبات أكثر من الأوقات، وهذا - بلا شك - يستدعي إعادة تنظيم أوراقنا، وترتيب أولويتنا.

علينا أن نستفيد بكل دقيقة في حياتنا، ونستغني عن كل ما يتسبب في إضاعة أوقاتنا كالمجالس الفارغة مع الأصدقاء وغيرهم، وكذلك مشاهدة الفضائيات وطول الجلوس أمام الحاسب الآلي.

.. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فمن يستطع أن يقلل من ساعات نومه فليفعل، فحياة الداعية ليست كحياة بقية الناس.

وحبذا لو قام كل منا في بداية كل يوم بكتابة الواجبات المطلوبة منه في الدوائر الثلاث ليكون ذلك حافزاً لأدائها وعدم نسيان بعضها.

ما قلّ وكفي خير مما كثر وألهي:

أما بالنسبة للعمل الدنيوي فهو بالفعل يستغرق من الفرد وقتاً طويلاً، ولكن بما أن الله عز وجل قد انتدبنا لمهمة عظيمة، واختارنا لتكون من الدعاة إليه، فيجب علينا أن نكون على مستوى هذا الاختيار، وألا تكون الدنيا هي أكبر همنا وغاية آمالنا، فوظيفة من الوظائف نعمل فيها في الصباح، وينتهي وقتها عند العصر -

مثلاً - وبراتب متوسط يغطي الكثير من احتياجاتنا الأساسية والضرورية، خير من عمل إضافي نلتحق به في المساء، يستهلكنا حتى منتصف الليل، فكما مر علينا أن وجود الواحد منا بين أبنائه، واهتمامه بهم وبنفسه، أهم بكثير من المال الزائد الذي سيحصل عليه من وظيفته المسائية.

فإن قلت: ولكن أعباء الحياة تستلزم هذا العمل الإضافي!

.. نعم، أعباء الحياة التي استدرجنا إليها تستلزم أموالاً كثيرة، فلقد صارت الحياة صعبة، ومعقدة، ولم تكن كذلك من عشرات السنين.

فما الحل؟

الحل يكمن في الخروج من هذه الدوامة، وعدم الانسياق وراء ما يفعله الناس.. علينا أن نتواضع في أحلامنا وطموحاتنا الدنيوية، ولا نتورط في أشياء تستنزف أموالنا وتجعلنا نغرق في بحر الدنيا.

ماذا نريد لأبنائنا؟

ومن وسائل الخروج من دوامة الانشغال بالدنيا وضوح الهدف في علاقتنا مع أبنائنا، وعن أهم شيء سيحاسبنا الله عنه تجاههم، فكما قيل في الصفحات السابقة، بأن المهمة المطلوبة منا جميعاً تجاه أبنائنا هي تأهيلهم لأداء الوظيفة والمهمة التي طالبهم الله بها ألا وهي ممارسة العبودية له طيلة حياتهم ومن وقت سن التكليف، وما الطعام أو الشراب أو التعليم أو غير ذلك من الاحتياجات إلا خدم لهذه الوظيفة.

فإذا انطلقنا في تعاملنا مع أبنائنا من فكرة ضرورة تعبيدهم لله عز وجل، وأن هذه هي وظيفتنا الأولى معهم؛ فسيكون من السهل علينا التواجد معهم في البيت - كلما سنحت الظروف - مع تعاهدهم بالتربية الإيمانية، وربط أحداث حياتهم بالله عز وجل.

... نعم، قد يتسبب ذلك في ضعف العائد المادي، مما قد يجعل الحياة صعبة عليهم.. ولكن هذه الحياة الصعبة الخشنة التي توفر الضروريات بالكاد، خير بكثير من تركهم، والسير في الأرض ليل نهار بحثاً عن المال الذي يوفر لهم الحياة الرغدة.
أين الرجل الرشيد؟!

إن المخطط الذي وضع بعناية لإلهاء الشعوب المسلمة بلقمة العيش ومتطلبها التعليم ينبغي ألا تقع في براثنه.. فليكن لنا فكرنا الواضح تجاه الحياة، وتجاه المستقبل، وتجاه أبنائنا وماذا نريد منهم، وكيف يفيدون أمتهم..

إن العالم الإسلامي الآن تموج فيه تيارات المادية، وهو بحاجة إلى العودة إلى الله، وتعلق أبصاره بالسما أكثر من أي شيء آخر.

وهذا لن يتم إلا من خلال جيل حر، لا يسيل لعابه أمام المال، ولا يفرح بإقبال الدنيا عليه، ولا يحزن بإدبارها عنه.

يحتاج إلى جيل لا يخاف اشترى الآخرة بالدنيا، ومن ثم لا يمكن لأحد أن يساومه عليها لأنها لا تمه. جيل إلا الله ولا يتوكل إلا عليه، ولا يسعى إلا لرضاه.

هذا الجيل هو الذي سيعيد الأمة إلى الله، ليكون نتاج ذلك التغيير المنشود الذي وعدنا الله به، والذي جعل من أهم شروطه أن نبدأ بتغيير ما بأنفسنا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

... إن حاجة الأمة الآن لهذا الجيل
الأكبر بكثير من حاجتها لأي شيء
آخر...

من هنا كان من الضروري أن نبدأ بذلك الأمر، وأن نكون نحن وأبنائنا قدوة لغيرنا، وهذا يستدعي الخروج من دوامة الدنيا، وأن يكون هدفنا مع أبنائنا وضعهم في قالب العبودية لله عز وجل بمفهومها الحقيقي.

.. علينا أن نكون صادقين مع أنفسنا، فإن كنا نحب الله ونريد مرضاته فليكن

بناء هذا الجيل هو أهم أهدافنا.

ليست دعوة للفقر:
أخي الداعية..

إياك أن تفهم هذه الكلمات على أنها دعوة للفقر أو التخلف عن ركب التقدم، بل هي دعوة للتحرر من أسر الدنيا.. دعوة للسعادة في ظل رضا الله عز وجل.. دعوة للتحرر من أسر الدنيا.. دعوة للسعادة في ظل رضا الله عز وجل.. دعوة لترتيب الأولويات من منطلق المهمة التي نزلنا من أجلها.. دعوة لمحاربة مخططات الشياطين بإبعادنا عن العمل الحقيقي لعودة مجد الإسلام من جديد.. ومع ذلك كله، فإن استطعت - أخي الداعية - أن يكون لديك المال الذي لا يشغلك عن بناء هذا الجيل فهذا أمر محمود، فالمال للداعية يصون وجهه ويحميه من أمور كثيرة، شريطة ألا يكون ذلك على حساب التوازن في الداوئر الثلاث.

دعك من الناس:
أخي الداعية..

لو سألت واحداً من الناس ممن دخلوا إلى دوامة الدنيا: لماذا تفعل بنفسك هكذا؟ فلن تجد منه جواباً مفيداً سوى أنه يفعل مثل ما يفعل غيره.

لذلك من المتواقع أننا لو بدأنا الخروج من دوامة الدنيا، واجتهدنا في فك أسرنا منها، وتغيرت اهتماماتنا بالنسبة لأبنائنا.. من المتوقع أن يهاجمنا الكثيرون ممن حولنا، ولكن مع الاستعانة الصادقة بالله عز وجل، ومع وضوح الهدف الذي نريد أن نحققه لأنفسنا ولأبنائنا وأمتنا سنستطيع - بفضل الله - أن نتحمل هجومهم، بل وستكون الثمار المتحققة من وراء نهجنا الجديد أكبر دافع لكي يحدو الناس حذونا، ويتخلصوا من أسر الدنيا، والله المستعان.

كلمة أخيرة



أخي الداعية

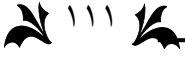
إن كان هذا الدين لا يقوم إلا بجهد البشر كسنة ربانية، فإن هذا الجهد ينبغي أن يتم توزيعه على محاور ثلاثة: النفس - البيت - المجتمع..

وكلما كان اهتمامنا بأنفسنا وما يصلحها أشد، كانت الثمار الكثيرة والطيبة في بيوتنا، ومجتمعاتنا.. ألم يقل إمام الدعاة في العصر الحديث حسن البنا: إذا وجد المؤمن الصحيح وجدت معه أسباب النجاح جميعاً؟!

فليبدأ جميعنا بذلك ولنتواصل دوماً به، ولنصبر على ما يواجهنا في سبيل تحقيقه، وليدع كل منا للآخر، فنحن جميعاً نسير في طريق واحد نبتغي به رضا الله عز وجل. وفي النهاية نحمد الله عز وجل أن يسر لنا إتمام هذه الصفحات، ونسأله سبحانه أن يتقبلها منا، وأن يجزي كل من ساهم معنا فيها خير الجزاء.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصفحات.

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



الفهرس

..... لمن هذه الصفحات؟

..... المقدمة.

الفصل الأول دوائر العمل الثلاث

..... الدائرة الأولى: مع نفسك.

..... عملك يني قصرك.

..... من سيدكرني بعد موتك؟

..... تسبيحة واحدة.

..... مجالات العمل مع النفس.

..... الدائرة الثانية: مع الأهل.

..... يا بني أركب معنا.

..... بيوتنا في خطر.

..... صلاحهم بصلاحك.

..... الدائرة الثالثة: مع الناس.

..... أنقذ غيرك.

..... واقع الأمة الإسلامية.

الفصل الثاني لماذا نهمل أنفسنا

- كبر مقتا
- أسباب إهمال النفس
- الأخطار
- أخي الداعية: ما قيمة أن تضئ لغيرك وتحرق نفسك
- خطورة إهمال النفس:
- أولاً: الوحشة وضيق الصدر
- ثانياً: عدم السلام الداخلي مع النفس
- ثالثاً: قلة التوفيق
- رابعاً: ضعف الإخلاص
- خامساً: الإصابة بداء الإعجاب بالنفس
- سادساً: مشكلات في البيت
- سابعاً: مشكلات بين الدعاة
- ثامناً: ضعف التأثير في الآخرين
- تاسعاً: ظهور آثار ضعف الإيمان
- عاشراً: القعود عن العمل الدعوي

الفصل الثالث

مفاهيم ينبغي أن تصح

- التوازن والتكامل في الأعمال
- من صور عدم التوازن
- أفضل العبادات

- مراجعة التكاليف الدعوية
- راجع التكليف
- أنت أم موسى عليه السلام؟!
- وصف الإمام البنا للداعية
- الوصية الجامعة
- العمل مع النفس
- العمل مع البيوت
- نشر الدعوة
- الاقتصاد في المعيشة
- مصلحة الدعوة!!
- أسباب النصر والتغير
- مصلحة الدعوة الحقيقية
- إياك والقعود
- لا استثناء لأحد
- رهبان الليل
- هكذا كان المصلحون
- نور الدين زنكي
- صلاح الدين الأيوبي
- ابن تيمية

محمد الفاتح	
محمد إقبال	
حسن البنا	

الفصل الرابع من أين نبدأ

اليقظة هي البداية	
وسائل إذكاء الشعور بالخطر	
كثرة ذكر الموت	
أهمية ذكر الموت	
الوسائل العملية لدوام تذكر الموت:	
أولاً: زيارة القبور	
ثانياً: تغسيل الموتى واتباع الجنائز	
ثالثاً: توهم لقاء الموت	
رابعاً: الاستعداد العملي لاستقبال الموت	
أ- كتابة الوصية	
ب- المسارعة إلى تسديد الديون	
ج- المساهمة في إنشاء صدقة جارية	
د- شراء الكفن	
خامساً: تذكر ساعة المرض ومشاهدة المرضى	
سادساً: الاستماع إلى المواعظ والقرآن في كتب الرقائق	

إلى متى نأخذ بهذه الوسائل؟!

التعرف على أحوال المسلمين ومخططات أعدائهم

مخططات القرنين الماضيين

الواقع خير دليل

خطبة زويمر

الحرب الجديدة على الإسلام

كلمة أخيرة حول هذه المخططات

الفصل الخامس كيف نضبط الميزان

ثوابت مع النفس

أولاً: الصلاة على وقتها

ثانياً: قيام الليل

لا بديل عن قيام الليل

ثالثاً: الانشغال بالقرآن

ماذا سيفعل القرآن؟

كيف نعود إلى القرآن؟

رابعاً: المحافظة على ورد من الذكر

خامساً: المداومة على الصدقة

سادساً: القراءة اليومية في كتابٍ نافع

ثوابت مع الأهل

- الخطوط العريضة لأهم السياسات والأعمال مع الأهل
- التواجد في البيت
- متابعة الزوجة والأولاد في جوانب حياتهم المختلفة
- العمل على إشباع رغباتهم وحاجاتهم النفسية
- المحافظة عليهم من التأثير الضار لوسائل الإعلام
- ربط الأحداث بالله عز وجل
- ممارسة التوحيد العملي معهم
- التعامل الصحيح مع القرآن
- تربيته على التواضع
- ترغيبهم في الدعوة إلى الله
- الاهتمام الخاص بالزوجة
- الوسائل المعنية:
- جلسة الطعام
- لقاء البيت الأسبوعي
- ثوابت دعوية
- حلاوة الاهتمام بالنفس
- المحض التربوي
- الواجبات الدعوية
- افعل شيئاً جديداً للإسلام

- ضرورة التهذيب التربوي للأعمال
- الدعوة الفردية
- تخفف من الأثقال
- ما قل وكفى خير مما كثر ألهى
- ماذا نريد لأبنائنا؟
- أين الرجل الرشيد؟
- ليست دعوة للفقير
- دعك من الناس
- كلمة أخيرة
- الفهرس